الجمـــــــــهورية الجزائـرية الديمقراطـــية الشعبيـــــــــة

وزارة التعلـيم العالي والبحث العلـــمي

جامعة الشهيد حمه لخضر- الوادي

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

تحـت عنـــــــــوان

مكانة اللغة من الهُوية في كتابات أحمد بن نعمان من خلال كتابيه : التعريب والهُوية الوطنية

- دراسة اجتماعية للغة -

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص لسانيات عامة

من إعداد الطالبتين:

- **كوت شروق**
- **قرفي أميرة**

تحت إشراف الدكتور :

*** حلواجي علي**

لجنة المناقشة

رئيس اللجنة	**الدكتور أحمد الشايب العرباوي**
المناقش	**الدكتور العزوزي حرزولي**
المشرف	**الدكتور علي حلواجي**

السنة الجامعية : 2022 /2023

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

تعتبر اللغة وسيلة لتحقيق التواصل بين الأفراد والتعبير عن المقاصد والأغراض ، لذلك يكون ارتباط الفرد بها شديدا في مجتمعه ، فهي تعكس وجوده وهويته ، وجزءا من شخصيته ، وهذه اللغة صارت اليوم في ظل ما يشهده العالم من تقدم علمي وثورات معرفية وتقنية في شتى المجالات العلمية والتكنولوجية والإنسانية ، وما وفره ذلك من سهولة التواصل بين المجتمعات المختلفة ، لا الأفراد فقط ، فقد صارت اللغة تشهد تداخلا وتعددا وتزاحما من طرف لغات أخرى في إطار صراع لغوي مع غيرها من اللغات المجاورة لها والبعيدة عنها ، بحكم التطور والانفتاح الحضاري وسيطرة لغة الأقوى علميا وتقنيا ، وصار الأفراد من مختلف دول العالم يقبلون على تعلم اللغات الأجنبية ، ليظهر ما يصطلح عليه بالتعدد اللغوي Plurilinguisme ، كأحد متطلبات المنافسة العالمية ، ويصبح قضية مركزية تتجاذبها حقول معرفية مختلفة كاللسانيات واللسانيات الاجتماعية وتعليمية اللغات ، ويشغل اهتمام الباحثين والمدرسين لما يخلفه من آثار بنوعيها ؛ ايجابية تسهم في تطور المجتمعات ومواكبتها العصر ، وآثار جانبية تطال الهُوية الثقافية والوطنية .

تعد اللغة مكونا رئيسيا للهوية القومية لقدرتها على نقل التراث الثقافي من جيل إلى جيل وصنع ثقافة الحاضر، و مواجهة التحديات الخارجية التي تواجه هذه الهُوية .

والهُوية هي اجتماع كل من الدين المتمثل في العقيدة ، واللغة المحددة بالوسيلة الأساسية للعلاقات الإنسانية ، والبيئة الاجتماعية التي تؤثر في الفرد ، والتاريخ الذي يعد السجل الحضاري للأمة ، وهي الشعور بالانتماء الاجتماعي والثقافي للمجتمع ، فتجعل الفرد يستعمل ثقافته ويتحرك فيها فيشعر بالذاتية التي تميزه عن غيره ، كما تجمع بين الأفراد المتشابهين ، من خلال التواصل بعامل اللغة التي تعكس صورة الهُوية في الثقافة المجتمعية ، بفعل الألفاظ والمفردات والتراكيب ، والدقة في الإفصاح والتعبير.

تعد مسألة الهُوية من أكثر المسائل التي أثارت جدلا بين المثقفين والسياسيين و المؤرخين ، لأن أغلب الدول المستعمرة نجد أن الاستعمار مارس فيها أبشع النماذج الاستعمارية ، فهو لم يكتف بالاحتلال العسكري للأرض والاستغلال الإنساني للفرد فحسب، بل سعى جاهدا إلى احتلال العقل وتهديم للبنى الحضارية للمجتمعات وتزوير هويتها ، و لعل أحمد بن نعمان (1944م) من بين المثقفين الذين كانت لهم نظرة ثاقبة حول إشكالية الهُوية ، التي عمل الاستعمار كل ما في وسعه للنيل منها ، و كذا محو المقومات الأساسية التي تقوم عليها الإثنية القومية .

وهنا عمل أحمد بن نعمان على استحضار المعطيات الراهنة لواقع الأمم ، بحيث ندرك أن إشكالية الهُوية أصبحت أمرا ضروريا أكثر فأكثر ، نظرا للتحديات التي فرضتها

العولمة كلصق للهوية و الاختراق الثقافي للرموز و الخصوصيات الثقافية من قبل القوى العالمية ، و التي تسعى دائما للسيطرة لتحقيق الإدماج و المزيد من الأرباح على حساب الدول الفقيرة و تشويه هويتها المشتمل في الأساس على التشويه اللغوي ، و على هذا أراد أحمد بن نعمان إيجاد حلول ذات فاعلية لإشكالية الهُوية للحد من اختراق هويات الشعوب المغلوب عليها .

و من بين الدوافع التي جعلتنا ندرس هذا الموضوع هو اعتقادنا أن شخصية أحمد بن نعمان لم تنل حقها من الدراسة التاريخية الموضوعية ، و غياب الاهتمام بها بالرغم من أنها تطرح مشكلات قضايا مصيرية ، و كذلك شغفنا في معرفة مدى ارتباط اللغة بالهُوية و ما لها من تأثير في هوية الأمة .

وتكمن أهداف دراسة هذا الموضوع في الوعي أكثر بهويات الأمم أمام خطورة الأبعاد الفكرية والفلسفية العالمية بما يسمى العولمة ، وكذا التعرف على شخصية أحمد بن نعمان والإطلاع أكثر على دور اللغة في تحقيق وجود القومية .

في حين أن الإشكالية التي تتبادر إلى أذهاننا هي : **هل التنوع اللغوي والثقافي لدى الشعوب يؤدي بالفعل إلى سقوط هويتهم في نظر الكاتب " ابن نعمان " ؟**

ومن خلال هذه الإشكالية الرئيسية اندرجت ضمنها عدة تساؤلات ، من بينها :

- فيما يتمثل فكر أحمد بن نعمان ؟

- بم تميز موقف أحمد بن نعمان تجاه قضية الهُوية الوطنية عن بقية المفكرين ؟

- ما مدى تأثير فكر أحمد بن نعمان على المجتمعات للحفاظ على هويتهم في ظل انتشار اللغات الأجنبية ؟

ومن الفرضيات التي نتوقعها :

- أن التنوع اللغوي يشكل خطرا على الهُوية

- كما أن تعدد الهويات يشكل خطرا على الوحدة الوطنية في نظر الكاتب

وفي محاولة الإجابة عن الإشكالية المطروحة في بحثنا هذا تطرقنا لمعالجة الموضوع من خلال خطة تتألف من مقدمة وفصلين وخاتمة .

مقدمة : توضح المعالم الأساسية لموضوع البحث

أما الفصل الأول فكان عبارة عن تعريفات لمصطلحات اشتمل عليها هذا البحث "تعريفات اللغة والهُوية والكاتب " وتناولنا فيه أربعة مباحث ، المبحث الأول في مفهوم اللغة لغة واصطلاحا ، ووظائف اللغة ، والمبحث الثاني مفهوم الهُوية لغة واصطلاحا ، أما المبحث الثالث يشتمل على تعريف الكاتب " أحمد بن نعمان "، والمبحث الرابع والأخير بعنوان العلاقة بين اللغة والهُوية عند غير الكاتب .

في حين أننا خصصنا الفصل الثاني للحديث أكثر عن اللغة والهُوية من وجهة نظر أحمد بن نعمان ، وتضمن ثلاث مباحث ، الأول كان بعنوان التعريف بالكتابين " التعريب بين المبدأ والتطبيق ، الهُوية الوطنية الحقائق والمغالطات " ، والمبحث الثاني ما طرحه الكاتب عن اللغة والهُوية في كتابيه ، في حين المبحث الثالث بعنوان " مجمل نظرة الكاتب لمكانة اللغة من الهُوية ".

وخاتمة جمعنا فيها النتائج المتوصل إليها من خلال الإجابة عن الإشكاليات المطروحة.

ولمعالجة هذا الموضوع اتبعنا المنهج الوصفي التحليلي التاريخي والذي تفرضه طبيعة الموضوع وذلك لتحليل ووصف أقوال أحمد بن نعمان ، ومن ذلك استنباط النتائج .

أما عن المصادر والمراجع المعتمدة في الدراسة فكانت أهمها كتاب الهُوية الوطنية الحقائق والمغالطات لأحمد بن نعمان ، وكتابه الآخر التعريب بين المبدأ والتطبيق ، وفلسفة اللغة لكمال يوسف الحاج

وللإجابة عن هذه الإشكاليات واجهتنا عدة صعوبات من بينها قلة المراجع التي تناولت هذه الشخصية " أحمد بن نعمان " موضوع للدراسة والبحث.، بالإضافة إلى قلة الكتب التي اتخذت موضوع اللغة والهُوية في الدراسة.

وفي الأخير يجب أن نتقدم بالشكر لكل من ساعدنا في إتمام هذا العمل ، فلكم منا كل الاحترام والتقدير ، وبارك الله فيكم جميعا.

الفصل الأول : تعريفات اللغة ، الهُوية ، الكاتب

المبحث الأول : مفهوم اللغة

المبحث الثاني : مفهوم الهُوية

المبحث الثالث : التعريف بالكاتب " أحمد بن نعمان "

المبحث الأول : تعريف اللغة لغة واصطلاحا ، ووظائفها

تمهيد :

من المعروف على مستوى العلوم الاجتماعية أن إعطاء تعريف لمفهوم معين يكون من ثنايا خصائصه المشتركية، مما يعطينا من الناحية النظرية إطارا منهجيا و معرفيا لرصد حدود الظاهرة و معالجتها، إلا أننا في الواقع نصطدم بتعدد و اختلاف التعاريف، و هذا الاختلاف و التمايز راجع إلى اختلاف المفكرين و مرجعتيهم الفكرية حول المفهوم الواحدة، كما هو الحال بالنسبة لمفهوم اللغة الأمر الذي يعكس مدى تعقيد المصطلح، و لعل سبب الاختلاف و التمايز بين تعريف و آخر يعود إلى ديناميكية المفهوم في حد ذاته.

هذا ما أدى إلى تنوع المقاربات التعريفية لهذا المفهوم بين ما هو متقارب و متباين، و منها ما هو قديم و حديث، و فيما يلي رصد لأهم التعاريف المقدمة لمفهوم اللغة

أ – تعريف اللغة لغة :

جاء في لسان العرب لـ (ابن منظور ت 711هـ): " .....اللغة من الأسماء الناقصة، و أصلها لغوة و قيل لغا يلغو ولغا فلان عن الصواب و عن الطريق إذا مال عنه، و اللغو : النطق يقال هذه لغتهم التي يلغون بها أي ينطقون بها[1]."

ووردت في المعجم الوسيط في نفس المعنى على أنها: أصواتٌ يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، جمعها لُغىً، ولغات، ويقال: سمعت لغاتهم: اختلاف كلامهم.[2]

وقال الكفوي: اللغة أصلها لغى، أو لغو جمعها لغى ولغات [3].وذكرها الفيروز آبادي في مادة لغو بالواو، وجمعها على لغات ولغون.[4]

وتعد كلمة اللغة عربية أصيلة، ذات جذور عربية، وتجري في اشتقاقها ودلالاتها على سنن الكلم العربية، وذهب فريق من التابعين إلى أن لغة منقولة من اللغة اليونانية، حيث أخذها العرب من كلمة "Logos" اليونانية ، ومعناها الكلام أو اللغة ثم عربوها إلى لوغوس ثم اعملوا فيها من الإعلال والإبدال ،وغيرهما من الظواهر الصرفية.[5] والقران الكريم يسمي اللغة لسانا وقد وردت بمعنيين

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، مادة (ل غ ا) ، بيروت ، ط1، ج1 ، 2003، ص4051/4050

[2] مجمع اللغة العربية ،المعجم الوسيط ،ص830

[3] الكفوي،أبو البقاء بن موسى الحسني،الكليات، تحقيق عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، لبنان، (دط) ، 1989 ،ص 697 .

[4] الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، الهيئة المصرية العامة للكتاب،(دط)، 1979 ،مادة لغو، ص 873.

[5] راوي، صلاح،فقه اللغة وخصائص اللغة وطرق نموها، ط1 ،القاهرة: كلية دار العلوم، 1993م، ص: 73

أولا: الآلة التي يتكلم بها الإنسان، ومنه قوله تعالى:{أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِولِسَانًا وَشَفَتَيْنِ}[6] وقوله تعالى {فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ ۚأُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا}[7]

ثانيا:اللغة، ومنه قوله تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ }[8]وقوله{وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ}[9]

وجاء في مفردات الراغب أن المراد من اللسان هي :الجارحة وقوتها ، ومنه قوله تعالى { وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي}.[10]ويعني به من قوة لسانه ، فإن العقدة لم تكن في الجارحة ،وإنما كانت في قوته التي هي النطق به ، ويقال:لكل قوم لسان ولسن بكسر اللام أي لغة ، قال تعالى {فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لعَلَّهُم يَتَذَكَّرُونَ}[11]وقال تعالى {وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ}[12]فاختلاف الألسنة إشارة إلى اختلاف اللغات،وإلى اختلاف النغمات، فإن لكل إنسان نغمة . مخصوصة يميزها السمع، كما أن له صورة مخصوصة يميزها البصر.

ب – تعريف اللغة اصطلاحا :

اختلف العلماء قديما وحديثا في تحديد تعريف محدد للغة، ويرجع سبب ذلك إلى ارتباط اللغة بكثير من العلوم. وإليكم أهم تلك التعريفات كما ذكرها العلماء القدامى:

ابن جني 392هـ :من أشهر التعاريف للغة ما ذكره ابن جني قائلا:أما حدها، (اللغة) فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم[13].ويؤكد هذا التعريف عدة من الحقائق المتصلة باللغة حسب رأينا وهي:

- اللغة ظاهرة من الظواهر الصوتية.
- اللغة لها وظيفة اجتماعية، لكونها أداة للاتصال والتواصل بين أفراد المجتمع، ووسيلة لتعبيرهم عن أغراضهم وحاجاتهم.

---

[6] القرآن الكريم ،البلد:8/7
[7]الأحزاب :19
[8] إبراهيم :4
[9]الأحقاف:12
[10] طه :27
[11]الدخان:58
[12] الروم:22
[13]ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، ط3،1416هـ ،الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج1،ص34

- اختلاف اللغة باختلاف المجتمع

ابن سنان 466هـ : ويعرف ابن سنان الخفاجي اللغة بقوله: هي ما يتواضع القوم عليه من الكلام.[14]

ابن تيمية 728هـ : وقد عرف ابن تيمية اللغة بأنها: أداة تواصل وتعبير عما يتصوره الإنسان ويشعر به، وهي وعاء للمضامين المنقولة، سواء أكان مصدرها الوحي، أم الحس، أم العقل وهي أداة لتمحيص المعرفة الصحيحة، وضبط قوانين التخاطب السليم[15] .ويستفاد من تعريف ابن تيمية للغة بعض السمات منها :

•أن للغة وظيفة اتصالية وتعبيرية.

- أن لها علاقة بالعقل والتصور والمشاعر.

- أن للغة أهمية في نقل المعرفة وتمحيصيها.

ابن خلدون 808 هـ : تحدث ابن خلدون في مقدمته عن اللغة فعرفها بأنها: اعلم أن اللغة في المتعارف عليه، هي عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام، فلابد أن تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها، وهو اللسان وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتها.[16] ويمكننا استخلاص بعض النقاط من خلال هذا التعريف منها:

•أن اللغة وسيلة اتصالية إنسانية اجتماعية، يمتلكها متكلم اللغة، ويعبر بواسطتها عن آرائه واحتياجاته، ومتطلباته.

- أن اللغة تختلف من مجتمع إلى آخر، طبقا لما اصطلح عليه أفراد ذلك المجتمع.

- أن اللغة نشاط إنساني عقلي إرادي يتحقق في حدود عادة كلامية لسانية

- أن اللغة تصبح ملكة لسانية بتكرار استعمالها.

والذي اتضح مما سبق أن علماء اللغة رغم محاولتهم وجهودهم الجبارة في إيجاد تعريف محدد جامع ومانع للغة، إلا أنهم اختلفوا أحيانا واتفقوا أحيانا أخرى، فقد اختلفوا في تحديد أجزاء التعريف المعرف للغة كما تبين من التعريفات السابقة، ولكنهم اتفقوا على أن اللغة هي الأصوات التي نعبر هبا عما نريد ونحتاج في حياتنا، وهي وسيلة التواصل بين بني البشر، فبواسطتها نستطيع التفاعل والتفاهم

[14]الخفاجي، ابن سنان، سر الفصاحة، القاهرة، 1935، ج1 ،ص33

[15] عبد السلام، أحمد شيخ، اللغويات العامة مدخل إسلامي وموضوعات مختارة، ط2 ،كوالالمبور، الجامعة الإسلامية العالمية. بماليزيا، دار التجديد للطباعة والنشر والترجمة،2006 ،ص80.

[16] ابن خلدون، عبد الرحمن،المقدمة، ط4 ،بيروت، دار الكتب العلمية، ج١،ص83.

بغض النظر عن اختلافها من قوم لقوم، ومن مكان لمكان، إلا أهنا في النهاية تؤدي نفس الوظيفة وهي التواصل.

وقد تحدث بعض العلماء المحدثين في تعريف اللغة ،حيث اجتهد كل واحد منهم أن يورد تعريفا خاصا لمفهوم اللغة ،فمنهم مثلا:

الدكتور محمد علي الخولي:عرف الدكتور محمد علي الخولي اللغة بأنها: نظام اعتباطي لرموز صوتية تستخدم لتبادل الأفكار والمشاعر .بين أعضاء جماعة لغوية متجانسة.[17]

الدكتور أنيس فريحة: وقد عرف الدكتور أنيس فريحة رحمه الله تعالى اللغة بأنها: ظاهرة سيكولوجية، واجتماعية، وثقافية، ومكتسبة، لا صفة بيولوجية، ملازمة للفرد،وتتألف من مجموعة رموز صوتية لغوية، واكتسبت عن طريق الاختبار معاني مقررة من الذهن، وبهذا النظام الرمزي الصوتي تستطيع جماعة ما أن تتفاهم، وتتفاعل.[18]

الدكتور عماد حاتم: عرف الدكتور عماد حاتم اللغة بأنها: وسيلة التفاهم بين البشر يكتسبها الإنسان من المحيط الذي يعيش فيه، فهي لا تولد بولادة الإنسان، ولا ترتبط بخصائصه البيولوجية، أو العرقية، بل هي ظاهرة تخضع للشروط .التي يعيشها المجتمع الإنساني، وهي تنعدم وتتلاشى بانعدام ذلك المجتمع.[19]

أما علماء النفس فكان لهم تعريف خاص للغة ألا وهو: رأوا أهنا مجموعة إشارات تصلح للتعبير عن حالات الشعور، أي عن حالات الإنسان الفكرية والعاطفية والإرادية، أو أهنا الوسيلة التي يمكن بواسطتها تحليل أية صورة أو فكرة ذهنية إلى أجزائها أو خصائصها، والتي بها يمكن تركيب هذه الصورة مرة أخرى في أذهاننا وأذهان غيرنا وذلك بتأليف كلمات ووضعها في ترتيب خاص.[20]

ما يلاحظ على ما سبق عدم اتفاق العلماء المحدثين كما كان هو الحال عند القدامى على تعريف محدد للغة، ويعود ذلك إلى ارتباط علم اللغة بعلوم عدة، أهمها: علم النفس، وعلم الاجتماع، وعلم المنطق، والفلسفة، والبيولوجيا، فقد كان كل عالم ينظر إلى اللغة من زاوية العلم الذي يعمل في ميدانه، فنظر فريق من الباحثين إلى اللغة من الزاوية الفلسفية المنطقية، ونظر إليها فريق آخر، من

---

[17] الخولي، محمد علي، أساليب تدريس اللغة، ط3 ،الرياض، 1989،ص ص 1 5- 16 .

[18] فريحة، أنيس، نظريات في اللغة، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط1981،2 ،ص14.

[19] حاتم، عماد، في فقه اللغة وتاريخ الكتاب، طرابلس ، ليبيا، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، (د ط) ،1982 ،ص ص 9،10

[20] عبد المجيد، عبد العزيز، اللغة العربية-أصولها النفسية وطرق تدريسها، دار المعارف، مصر، (د ط) ،1952م، ص15.

الناحيـة العقليـة النفسـية، كمـا عالجهـا فريـق ثالـث مـن زاويـة وظيفتهـا في المجتمع . ولـكل فريـق آراؤه الخاصـة في تعريفهـا.

ومما سبق نستخلص من التعريفات التي قدمها العلماء ما يلي:

- أن اللغة هي عبارة عن أداة يستخدمها الفرد للتعبير عن أفكاره

- أن اللغة هي عبارة عن نظام لابد إتباعه

ج- وظائف اللغة :

تتمثل الوظيفة الأساسية للغة في تعريف ابن جني في لفظ " يعبر " بها كل قوم ، أي الوظيفة هي التعبير أو التواصل أو التفاهم .

إلا أن الاجتهادات الحديثة وسعت هذه الوظيفة ولم تحصرها في التعبير التواصلي بين الأفراد لأننا في الواقع نجد وظائف كلامية أخرى للغة تتمثل في أنواع مختلفة من الكلام تتدرج تحت أبواب اجتماعية مختلفة في مقابل الأبواب النحوية ، وتتمثل في الأشكال التالية :

1- الكلام الانفرادي (المونولوج) حين يتكلم الفرد وحده بشكل أو بآخر كالقراءة الانفرادية ، وتدوين الملاحظات التي لا يريد بها الكاتب إلا نفسه ، وتحديث الإنسان نفسه...

2- استعمال اللغة في المخاطبات الاجتماعية التي لا تستهدف غاية محددة مثل التأدب والمجاملات والتهنئة (حيث نجد عبارات تكرر دون قصد معناها وأسئلة تطرح لا يراد منها الجواب ، كما في السلام) وكذلك الحديث عن أحوال الطقس وكل ما يراد به قضاء الوقت أو تلطيف جو الجلسة التي يخيم عليها الصمت...

3- استعمال اللغة في الصلاة والدعاء ومناجاة الله ، فكل ذلك أبعد من يكون نقلا للفكر بأية صورة من الصور .

4- اتخاذ اللغة وسيلة للتسلي واللعب بالأصوات سواء عند الكبار أم الصغار، وذلك بقصد التلذذ والانتشاء فقط . فكثيرا ما نجد أناسا كبارا وصغارا يرددون كلمات وأصوات لا يقصدون منها إلا المتعة بأصواتهم .

5- استعمال اللغة أحيانا لإخفاء أفكار المتكلم لا لإظهارها ـ كما هو الأصل ـ وقد يكون ذلك لأغراض محدودة ومقبولة كأن يقصد المتكلم تلخيص نفسه من خطر وهلاك بطريقة

مشروعة ، وهو ما يسمى في الشريعة بـ " التعريض " ، وكما يفعل السياسيون في التلاعب بالألفاظ والعبارات لتحقيق أغراض غير التي يقصدها السائل ويريدها السامع ، وفي علم البيان في البلاغة باب كهذا يسمى " تجاهل العارف " ويسمى أيضا " أسلوب الحكيم " . وقد يكون إخفاء الأفكار كذبا وتحايلا وخداعا كما في لغة اللصوص والمحتالين الذين يخدعون الناس للاستيلاء على أموالهم وممتلكاتهم .[21]

وبناء على الحالات السابقة يتبين أننا لا نستعمل اللغة لصوغ عبارات إخبارية تواصلية فحسب ، بل نستعملها أيضا في مواقف كلامية نؤثر بها على الآخرين حبا وخداعا وتحذيرا ، كما نستعملها في تزجية الوقت وليس نقل الأفكار في ذلك كله هدفا أساسيا .

وعليه فقد صنف اللغويون الوظائف الأساسية للغة عدة تصنيفات يمكن اختصارها في فرعين اثنين هما :

- الوظيفة التعاملية : التي تتمثل في نقل المعلومات والتواصل

- الوظيفة التفاعلية : التي تتمثل في إقامة العلاقات الاجتماعية وترسيخها

إلا أن الوظيفة الأولى هي الأساس .

المبحث الثاني : تعريف الهُوية لغة واصطلاحا

تمهيد :

إن مصطلح أو مفهوم الهُوية من أكثر المصطلحات و المفاهيم استعمالا و تداولا على مستوى الدراسات الاجتماعية و السياسية و الثقافية...الخ، لأنه بدون تحديد هوية أي مجتمع أو دولة ...الخ يراد دراستها بشكل علمي و دقيق و صحيح، ستكون النتائج خاطئة و مشكوك في صحتها إلى حد بعيد و. كمثال على ذلك دراسة الدوال الرياضية، حيث يجب أولا و بشكل أساسي تحديد مجال تعريف الدالة (هويتها ،) وهذا ينطبق بشكل كبير، على جميع الدراسات الأخرى في الميادين العلمية الأخرى كالعلوم الاجتماعية والإنسانية و السياسية...من أجل التوصل إلى أصح و أدق النتائج.

أ –تعريف الهُوية لغة :

[21] حلواجي ، علي ، محاضرات اللغة والمجتمع ، قسم اللغة والأدب العربي ، جامعة الشهيد حمه لخضر ، الجزائر ص ص 5،6

" بالبحث في قاموس اللغة العربية : المعجم الوجيز (1994 ، ص654) نجد أن الهُوية هي الذات ، وفي المعجم الوسيط (1972 ، ص998) الهُوية هي حقيقة الشيء أو الشخص الذي تميزه عن غيره.

وفي المعجم الفلسفي : اسم هوية ليس عربيا في أصله ولكنه اشتق من حرف الرباط والذي يدل عند العرب على ارتباط المحمول بالموضوع في جوهره وهو حرف هو ، وتطلق الهُوية على الشخص (أو على الموجود المشبه بالشخص ، ونقول هوية الأنا وهوية الفاعل ، وتسمى الهُوية بالهُوية الشخصية "[22]

وقد عرفه الجرجاني بقوله : أن الهُوية هي : " الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق "[23]

وفعل التعريف الذي عرفته الثقافة العربية هو الذي عرفها بأنها : " كنه الشيء وذاتيته " فهوية الشيء تعني عينيته وتعني أيضا وحدة الذات بالنسبة للإنسان ، وهوية الشيء تعني ثوابته التي تتجدد وتتغير وتفصح عن ذاتها دون أن تخلى مكانها لنقيضها ، طالما بقيت الذات على قيد الحياة ، أنها كالبصمة بالنسبة للإنسان يتميز بها عن غيره ، وتتجدد فعاليتها دون أن تتغير أو تطمس معالمها " .[24]

وفي هذا السياق قال الفارابي : هوية الشيء وعينته وتشخصه وخصوصيته ووجوده المنفرد له ، كل واحد ، وقولنا أنه هو إشارة إلى هويته وخصوصيته ووجوده المنفرد الذي لا يقع فيه اشتراك .[25]

أما احمد بن نعمان فيرى : " إن مفهوم الهُوية في ناحية الدلالة اللغوية يشكل مركب من ضمير هو الغائب مضاف إليه ياء النسبة التي تتعلق بوجود الشيء المعني كما هو في الواقع بخصائصه ومميزاته التي يعرف بها والهُوية بهذا المعنى اسم الكيان والوجود على حاله أي وجود الشخص أو الشعب أو الأمة كما هي بناء على مقومات ومواصفات وخصائص معينة تمكن من إدراك صاحب الهُوية بعينه دون الأشياء والمسألة في هذه القضية تتعلق بنوعية تلك الصفات والمقومات والخصائص. "[26]

---

[22] محمد عبد الخالق سعد ، حاتم ، العلاقة بين استخدام المراهقين من 14-17 الانترنت وهويتهم الثقافية ، دراسة ميدانية ، دراسة للحصول على درجة ماجستار ، قسم الإعلام وثقافة الطفل ، جامعة عين شمس ، القاهرة ،(د ط) 2008 ، ص 28

[23]سالم ، فاطمة الزهراء ، نحو هوية ثقافية عربية إسلامية التداعيات والتحولات والتصورات ، دار العالم العربي ، ط1 ، القاهرة ، 2008 ، ص 28

[24] سالم ، فاطمة الزهراء، نفس المرجع السابق ، ص29

[25]جميل صليبا ، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية ، دار الكتاب اللبناني ، دار الكتاب المصري ، ج2، بيروت ، لبنان ، (د ط)، 1979 ، ص ص 529،531

[26]بن نعمان ،أحمد ، الهُوية الوطنية ، الحقائق والمغالطات ، دار الأمة، (د ط)، 1995، ص19

نستنتج مما سبق أن الهُوية إذا في اللغة من الناحية الصرفية هي مصدر صناعي من لفظ "هو" ، و تعني ببساطة : " من نحن ؟ على المستوى الاجتماعي ، ومن أنا ؟ على المستوى الفردي فهي كلمة مشتقة من الضمير " هو " ، وكأن ذلك جواب عن سؤال : ما هو ، وهوية الشيء حقيقته وكنهه .

ب- تعريف الهُوية اصطلاحا :

يقول عزيز العظمة : " إن موضوع الهُوية من الأدبيات السوسيولوجية والفلسفية كما هو في الخطاب السياسي قد صار رائج التداول ، وهذا الحدث لا ينبغي أن نعتبره كما لو كان مجرد علامة عن بدعة فكرية ، وفضلا عن ذلك قد اتخذت الصراعات المجتمعية في بدايتها شكل الصراعات المجتمعية في بدايتها شكل الصراعات من أجل الاعتراف لا من أجل إعادة التوزيع العادل للثروات (فريزر frazer1989) وعلى هذا فقد أصبحت الهُوية قضية نظرية وعملية معا .

ويعرف الهُوية بقوله : ونحن نقصد بالهُوية ، في ذات الوقت، ما نوجد عليه على نحو فردي وما نريد أن نكون عليه على معنى ما يميز خصوصيتنا والكيفية التي نتمثل بها هذه الخصوصية معا ، وبعبارة أخرى الكيفية التي يتعين بها كل فرد على حدة ، والتي بها يتطابق في نفس الوقت مع معايير عامة ، وينتسب بها إلى جماعات محددة. "[27]

ويعرفها المفكر الفرنسي أليكس ميكشللي(ALEX MUCCHIELLI) : " أنها منظومة متكاملة من المعطيات المادية والنفسية والمعنوية والاجتماعية التي تنطوي على نسق من العمليات التكامل المعرفي وتتميز بوحدتها التي تتجسد في الروح الداخلية التي تنطوي على خاصية الإحساس بالهو والشعور بها." [28]

" غالبا ما تشترك تعريفات الهُوية في إبراز عنصري التميز والاختلاف ، حتى يمكننا القول : إن الهُوية ظاهرة ما هي ما يجعلها مختلفة عن غيرها ، أي : إنها جملة من خصائصها التي تنفرد بها ، وتختلف وتتميز قياسا بغيرها . ومهما تشابه الناس واشتركوا في الخصائص الحضارية والثقافية التي تميز الإنسان نوعيا عن غيره من المخلوقات ، فإنهم لا يعبرون عن أنفسهم غل من خلال أشكال فردية شديدة الخصوصية وتميز بعضهم

[27]عزيز العظمة ، سؤال ما بعد الحداثة مفاهيم عالمية ، الهُوية من أجل حوار بين الثقافات ، المركز الثقافي العربي ، ط1 ، 2005 ، ص143

[28]مجموعة باحثين ، العولمة والهُوية الثقافية ، إشراف جابر عصفور ، سلسلة أبحاث المؤتمرات 7 ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، مصر ، (د ت)، ص401

عن بعض ، إن ما نسميه الهُوية الفردية هي مجموعة من الخصائص الجسدية والنفسية التي يتميز بها كل إنسان بين أقرانه ." [29]

" والهُوية كما يحددها عالم النفس والاجتماع أريكسون(ERICSSON) ترتكز على الشعور الواعي بالفردية الذاتية وعلى الجهد اللاواعي في تضامن الفرد مع الجماعة وتطلعاتها .

أي أن هوية المرء تقوم على قاعدتين تكمل كل منها الأخرى وتساعد في بنائها وهما : الفرد والجماعة .

وقد نتجت ثلاثة عناصر ضرورية للإحساس بالهُوية عند أريكسون هي :

- يجب على الفرد أن يشعر بالمماثلة الداخلية أو التكامل وبالتالي لا تكون القرارات والأفعال عشوائية .
- إن الإحساس بالمماثلة الداخلية أو مستمرة لفترة من الزمن .
- يتم الشعور بالهُوية من خلال مجتمع لأشخاص مهمين ذوي علاقات وأدوار من أجل هوية مثمرة ومتكاملة " [30]

" فالهُوية ليست معطى مستقلا تفرزه الذات من تلقاء نفسها وتتحكم فيه بمشيئتها ، فلا يمكن إجراء فصل جراحي حاسم بين ما هو ذاتي وما هو جماعي في مجال الحديث عن الهُوية ، "لأن الذات هي أيضا ، وربما أساسا ، ممارسة اجتماعية " كما قال ميشال فوكو . والهُوية الفردية هي بالضرورة امتداد طبيعي وتجل فردي للهوية الجماعية . [31]

فالهُوية إذن بعدٌ اجتماعيٌ ، تعرف بالهُوية الجماعية ، أو الجمعية .

الهُوية الجمعية هي المشاركة الوجدانية الجماعية في تكوين الهُوية الجمعية ، وهي أساس كل أنواع الهويات ، فهي ترسي الشعور بالهُوية من خلال الشعور بالانتماء أو الشعور بالقيمة المرجعية .

" يرى عفيف البوني أن الهُوية تعبر عن الذات الجماعية لأفراد الأمة كلهم وهو بذلك يرى أن الهُوية عامل مشترك يجمع عليه كل أفراد الأمة ."[32]

---

[29]الهر ماسي ، محمد صالح ، مقاربة في إشكالية الهُوية المغرب العربي المعاصر ، دار الفكر ، دمشق ، ط2 ، 2002 ، ص20

[30]حاتم ، محمد عبد الخالق سعد ، مرجع سبق ذكره ، ص401

[31]سعيد ، أرلق ، مدارات المنفتح والمنغلق في التشكلات الدلالية التاريخية لمفهوم الهُوية ،مجلة عالة الفكر ،العدد 4،ج 36 ، أفريل – جوان 2008 ، ص226

[32]حاتم ، محمد عبد الخالق سعد ، مرجع سبق ذكره ، ص207

" يرى ريجارد جنكز(RICHARD JENKINS) أن الهُوية الاجتماعية هي تصورنا حول من نحن ومن الآخرون، وكذلك تصور الآخرين حول أنفسهم وحول الآخرين . كما يرى أن الهُوية الاجتماعية هي حول المعاني ، وهذه المعاني تتشكل اجتماعيا وليست تعبير عن الاختلافات الضرورية بين الناس.

فالهُوية برأيه هي جزء مكمل للحياة الاجتماعية وهي تتشكل فقط عبر التمييز بين هويات مختلف الجماعات ." [33]

" وأخيرا فان جنكز(FAN JENKS) (على عكس فريق ما بعد الحداثة) يؤمن بأن الهُوية تبقى مرتبطة في جذورها بالخبرة الاجتماعية وبالعضوية في الجماعات ، وهي ليست شيء يمكن تغييره حسب الرغبات ."[34]

" إن انتماء الفرد إلى جماعة محددة ، تعزز المظاهر الايجابية لهويته وشعوره بالتقدير لذاته، يعزز هذا الانتماء ، ويقوي هويته ، وعلى النقيض من ذلك فإن غياب الاعتراف ، وتقدير الذات من الجماعة التي ينتمي إليها يؤدي بالضرورة إلى الانسحاب .

فهي محاولة البحث عن الهُوية وتثبيتها . حسب LEMAIN "[35]

وعلى العموم يمكن أن نلخص مفهوم الهُوية في الاصطلاح في أنها مجموع السمات التي تميز شيئا عن غيره أو مجموعة عن غيرها ، كل منها يحمل عدة عناصر في

هويته ، والذي يعنينا هنا ليس الشيء ولا الشخص ، وإنما هو " المجموعة " والتي نعني بها هنا القوم أو الأمة (كما ورد في تعريف من ابن جني للغة) ، ولذلك فموضوعنا يتعلق بالعناصر التي تشكل السمات والشروط الأساسية للانتماء لنفس الأمة أو القوم ، مع الاكتفاء باستعمال مصطلح المصدر من " القوم " (أي القومية) مادام معنى القوم أو الأمة واحدا.

المبحث الثالث : التعريف بالكاتب " أحمد بن نعمان "*[36]

أ – نشأته وحياته :

[33] هارلمبس وهولبورن ، سوشيولوجيا الثقافة والهُوية ، ترجمة حاتم حميد محسن ، دار كيوث ، دمشق ، سوريا ، ط1 ، 2010، ص93

[34] المرجع السابق ، ص105

[35] مسلم ، محمد ، الهُوية في مواجهة الاندماج عند الجيل المغاربي الثاني بفرنسا ، ط1 ، دار قرطبة للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2009 ، ص124

[36] * من هو الدكتور أحمد بن نعمان ، 15-03-2023- 14:20، Youtube :Ahmed Bennamane

ولد الدكتور أحمد بن نعمان سنة 1944م بقرية الخروبة، بلدية تورقة ، ولاية تيزي وزو ، غادر مقاعد الدراسة بعد استشهاد عمه الشيخ الشريف الذي كان معلمه الأول ليبدأ نشاطه الثوري من مسقط رأسه سنة 1958م وعمره 14سنة ، ألقي عليه القبض بعد سنة أي في سنة 1959م ، وفرَ بمعتقل تورقة بتزامن مع استشهاد والده محمد رحمه الله بالعاصمة، و نجا من الموت المحقق ليواصل نشاطه كمسبل ثم كجندي في جيش التحرير الوطني بالولاية الثالثة .

استأنف الدراسة بعد خروجه من الجيش في سنة 1963م بعد الاستقلال ، ليدخل الجامعة سنة 1968م ، وثم يتخرج بشهادة ليسانس في الفلسفة سنة 1971م ،عمل كموظف في جامعة الدول العربية في القاهرة ، و بالتوازي حضر وناقش رسالة الماجستير حول موضوع " التعريب في الجزائر بين النظرية والتطبيق" ، و ناقشها سنة 1978م ، ثم ناقش رسالة الدكتوراء حول موضوع " سمات الشخصية الجزائرية من منظور الأنثروبولوجيا النفسية " ، و ناقشها في جامعة القاهرة سنة 1982م .

بعد استقالته من جامعة الدول العربية بعد اتفاقية كامب ديفيد حيث قاطعت الدول العربية مصر، عاد إلى الجزائر سنة 1979م .

ب- أعماله ومؤلفاته :

عمل الدكتور أحمد بن نعمان مستشارا بوزارة الداخلية، ثم مديرا عاما للمعهد الوطني للدراسات الإستراتيجية الشاملة برئاسة الجمهورية وعمره 46سنة ، و أحيل من التقاعد سنة 1990م.

عينه الرئيس اليمين زروال عضوا للملجلس الأعلى في اللغة العربية بالرئاسة سنة 1998م ، واستقال منه سنة 1999م ،وهذه الاستقالة كانت احتجاجا عن التراجع عن تطبيق اللغة العربية الذي وجد المجلس الأعلى أساسا من أجله .

تحصل الدكتور أحمد بن نعمان على جائزة الإمام عبد الحميد بن باديس ، من المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم بالرباط سنة 1992م.

شغل مهام أمين عام للمجلس الإسلامي الأعلى ، و نائب رئيس الجمعية الجزائرية للدفاع عن اللغة العربية .

عمل كـ :

- عضو في إتحاد الكتاب الجزائريين

- عضو في المنظمة الوطنية للمجاهدين
- عضو المنظمة الوطنية للجزائريين
- عضو الجمعية العربية للعلوم السياسية
- عضو المنظمة الوطنية لأبناء الشهداء

وهو الآن متفرغ للبحث و التعليم ، و إلقاء المحاضرات و المشاركة في الندوات العلمية والثقافية داخل الوطن وخارجه .

له حوالي ثلاثين مؤلفا في مختلف مجالات العلوم الإنسانية منها الثقافي ، و السياسي ، و الديني ، و التاريخي ، و اللغوي ، و النفسي .

من مؤلفاته :

- فرنسا والأطروحة البربرية
- التعريب بين المبدأ و التطبيق
- كيف صارت الجزائر مسلمة عربية
- جهاد الجزائر حقائق التاريخ و مغالطات الجغرافيا
- سمات الشخصية الجزائرية
- التعصب والصراع العرقي و الديني و اللغوي لماذا وكيف ؟
- مفتاح اللغة العربية
- الهُوية الوطنية الحقائق و المغالطات
- حزب البعث الفرنسي
- نفسية الشعب الجزائري
- المفتاح
- هل نحن أمة
- هذي هي الثقافة
- اشهدي يا جزائر
- اطلبوا الوطنية ولو في فرنسا
- مستقبل اللغة العربية بين محاربة الأعداء وإرادة السماء
- الوحدة الوطنية في وحدة الأمة

ج – ما قيل عن أحمد بن نعمان :

قال عنه الدكتور سعيد شيبان الوزير السابق أن الدكتور أحمد بن نعمان هو مجاهد وابن شهيد ، كرس حياته لطلب العلم و كان عصامي بأتم معنى الكلمة ، و كان فيه هذا النضال الدائم و تقديم العلم في كل مكان و مشاركته المستمرة في مجالس العلم والملتقيات .

قال عنه الشيخ مأمون القاسمي ، أن الدكتور أحمد بن نعمان مثال للمثقف المسلم ابن المدرسة الأصيلة التي ننتمي إليها جميعا ، يؤمن بثوابت الأمة ،و هو صديق عزيز و رفيق الدرب الطويل عرفناه دوما خير عونا في أوقات الشدة ، و كان من الذين حذروا و مزال من النزعة البربرية في بلادنا وسياسة التغريب و التخريب على مستوى اللسان والهُوية ، وفي لمبادئه لم يغيرها منذ عرفته ، ثابت إلى الحق ، لا يبدل تبديلا ، و على شبابنا أن يقتدوا به فهو نموذج جدير بالاقتداء .

يقول عثمان سعدي : "أنا شاوي من أكبر القبائل الأمازيغية في الجزائر ، وقبيلتي النمامشة ، و زميلي وصديقي الدكتور أحمد بن نعمان قبائلي ، و الذي جمعنا هو لغة القرآن الكريم فكلانا نذر حياته و جهده لخدمة اللغة العربية ، والدكتور أحمد بن نعمان تصدى للنزعة البربرية و أقصد البربرية بمفهومها السلبي المعروف ، و أعتبر كتابه فرنسا و الأطروحة البربرية من أعظم مؤلفاته ".

المبحث الرابع : علاقة اللغة بالهُوية عند غير الكاتب :

بعد أن تطرقنا لمفهومي اللغة والهُوية كل على حدة أصبح من الضروري أن نجمعهما في هذه الفقرة الأساسية، ونجمع إليهما العناصر الأخرى للهوية ، وذلك للكشف عن العلاقات بين اللغة والهُوية .

إذا كانت اللغة هي تلك الخاصية الإنسانية التي تعكس العقل الجمعي لفئة من البشر، وتعبر عن رؤيتهم للعالم من حولهم ، وإذا كانت الهُوية هي الحقيقة والذات والماهية ، فإنه يمكن القول دون أن يكون ثمة افتعال: إن اللغة تعد صورة حية لحقيقة أصحابها وذواتهم وماهيتهم.إذ أن كل إنسان يحتاج إلى لغة تحدد هويته وكل فرد منا بحاجة إلى هذا الرباط القوي والمطمئن الذي يحدد هويته. لا يوجد ما هو أخطر من السعي إلى قطع الحبل السري الذي يربط الإنسان بلغته ، عندما ينقطع أو يضطرب بشدة ينعكس ذلك بشكل مدمر على مجمل الشخصية من الضروري أن يتوطد بوضوح دون أدنى لبس وأن يراقب دون كلل حق كل إنسان في الاحتفاظ باللغة التي تحدد هويته واستخدامها بحرية. فكل إنسان يحتاج إلى لغة تحدد هويته إذ كل فرد منا بحاجة إلى هذا الرباط القوي والمطمئن

الذي يحدد هويته[37].

إن اللغة والهُوية أمران متلازمان؛ فهما موضوعان مرتبطان يتفاعلان في السلوك الفردي والاجتماعي، يؤثر كل منهما في الآخر، إيجابا وسلبا، قوة وضعفا؛ فـــإذا قويت الهُوية قويت اللغة، وإذا ضعفت الهُوية ضعفت اللغة [38]، ومن ثم ؛ لا يمكن في اعتقادنا، ذكر الهُوية دون اللغة أو تشكيل الهُوية بمعزل عن اللغة، فالطرفان يتبادلان التأثير.

اللغة والهُوية هما إذا وجهان لشيء واحد، بعبارة أخرى: إن الإنسان في جوهره ليس سوى لغة و وهوية، اّللغة فكره ولسانه، وفي الوقت نفسه انتماؤه، وهذه الأشياء هي وجهه وحقيقته وهويته، وشأن الجماعة، أو الأمة هو شأن الفرد، لا فرق بينهما، وفي ذلك الإنسان ومقوماته، يقول الشاعر زهير بن أبي سلمى:

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلمْ يبق إلا صورة اللحم والدم[39]

وبناء على هذا، نكون أمام بناء تصور جدلي بين اللغة والهُوية، وجدلية العلاقة تفرز دورا جوهريـا للغة في حياة الشعوب، فما عادت اللغة تختزل وظيفتها في مجرد "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"[40] ، فـالتواصل عبر اللغة ضروري ومعلوم ، بينما أهميتها الجوهريَّة أكثر من ذلك عمقا؛ إنها "وعي الإنسان بكينونته الوجودية وبصيرورته التاريخية وبهويته الذاتية والاجتماعية والقومية وكليته الإنسانية، إنها السجل الناطق بهذه الأبعاد جميعها"[41]، وقد تبين في تاريخ الثقافة أن اللغة من حيث وظائفها التواصلية وأشكالها التعبيريـــة، أحسنها وجها في تشكيل الهُوية وفي مواجهة متطلبات الثقافة المحلية والمحافظة على السلوك الاجتماعي للأفراد في تفاعلهم مع محيطهم الثقافي وتأقلمهم بمرونة مع متغيراته [42].

ومن ثم فـإذا كانت الهُوية هي إحساس الإنسان بالانتماء القومي إلى كيان اجتماعي ما، فإن هذا الإحساس والقلب النابض به لدى أفراد كل أمة، وبذلك يعد استهداف اللغة بمثابة استهداف للهويـة، في صميمها وتقويض مركزي لكيان الأمة المستهدفة في هويتها.

ترتبط الهُوية باللغة ارتباطا وثيقا،ارتباط العلة بالمعلول، وعلى سبيل التأثير والتمثيل والتشكيل فالواحدة منهما تؤثر قي الأخرى وتكلها وتمثلها، فالهُوية حالة في اللغة لأن كل لغة لها هويتها الخاصة بها،وتعبر اللغة عن الهُوية كما تعبر الهُوية عن اللغة ، وقد تكون

[37]كربية، كريمة ، اللغة والهُوية ، قسم اللغة العربية ،كلية التربية بالدلم ، جامعة سلمان بن عبد العزيز،نشر في 1435/2/14ه،ص59

[38] حنفي ، حسن ، الهُوية والاغتراب في الوعي العربي، مجلة تبين، العدد01،قطر، صيف2012م، ص 09

[39]بيت لزهير بن أبي سلمى

[40]ابن جني: الخصائص، مرجع سبق ذكره ، ص33

[41] محمود أمين عالم، دفاع عن الخصوصية اللغوية، عن كتاب: لغتنا العربية في معركة الحياة، العدد (السابع والثامن عشر)، سلسلة قضايا فكرية للنشر، القاهرة،(دط)،1997م، ص09

[42]محمود السيد ، اللغة العربية (واقعا وارتقاء)، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ، (دط) ، (دت)، ص24

اللغة إحدى المقومات أساسية أو غير أساسية في بناء الهُوية ، وتنتج اللغة الهُوية وتحافظ عليها وتنقلها من جيل إلى آخر ومن وقت إلى آخر، وتقوم الهُوية بتنشيط اللغة وتحريكها وتحافظ عليها وتؤمن وجودها في الاندثار، وتتأثر اللغة بالهُوية إذ تقوى بقوتها وتضعف بضعفها وتنصهر بانصهارها وتندثر باندثارها، وانطلاقا من العلاقة الوثيقة بين الظاهرتين الإنسانيتين الهُوية واللغة يتحدد مدلول الهُوية اللغوية باعتبارها أحد المفاهيم الرئيسية في الفكر المعاصر، ويقول حسن حنفي محددا العلاقة بين الهُوية واللغة في الوطن :"الهُوية واللغة موضوعان مرتبطان يتفاعلان في السلوك الفردي والاجتماعي داخل الأوطان، يؤثر كل منهما على الآخر، قوة وضعفا إذا قويت الهُوية قويت اللغة، وإذا ضعفت الهُوية ضعفت اللغة، اللغة تعبير عن الهُوية طبقا للقول الشهير (تحدث حتى أراك). وقد تحدث الله في الوحي حتى تعرف ذاته العلية، وكلمة (لوغوس)في المسيحية كما هو الحال في إنجيل يوحنا تعني الكلمة والهُوية والوجود في آن واحد"[43]

وإذا كانت "اللغة" مطلقة هي الهُوية كماَسلف، فإن"العربية" تحديًدا هوية لصحابها(العرب) ولغيرهم (َمن يتعبدون بهاِمن المسلمين) إنها هوية من طراز خاص، تمتلك الكثير من العناصرالتي تجعلها كذلك[44]:

***القداسة :**وذلك لارتباطها بكلام الله عز وجل(القران الكريم) والذي ينص بنفسه على عروبته. وهذا المعنى إن دل على شيء فإنما يدل على المكانة العظمى التي تحظى بها هذه اللغة في نفوس العرب المسلمين.

***الحفظ :**فاللّغة وعاء حفظها الله عز وجل عندما اختارها لتكون لغة أعظم وأقدس كتاب على وجه الأرض وخير دليل ما جاء في قوله تعالى: {إنّا نَحْنُ نَزَلْنَا الذّكْرَ و إنَّا لَهُ لَحَافظُونَ}

***الّتاريخية :**فاللّغة وعاء لحفظ الّتاريخ، وكلما كان هذا الخير ممتدا وخصًبا انعكس على اللّغة قوة وثراء فهي الناقل الأمين لكل الأحداث، وتاريخ العربية يمتد قرونا طويلة، كانت هي خلال لسانا واحدا ولا تزال، خلافا لتواريخ كثيرة، وألسنة عديدة ،انقطعت أو بترت ،فما عاد لها صلة بمراحل تاريخية سابقة، ولا لغات أمهات ولدت من رحمها .

***الجغرافية :**مما هو معروف أن العربية امتدت على مساحات شاسعة من العالم، بفضل الإسلام، وفي كل مكان وصلت إليه كانت تتفاعل مع طبيعته، وسكانه، تأخذ منه ومنهم وتعطيهم، ولا توجد لغة من لغات العالم قد اتسعت اتساعها.

[43] حسن حنفي: الهُوية والثقافة في الوطن، http://www.arabrenewal.info.

[44]أ/ زلاقي ، عبلة ،التفاعل بين اللغة والهُوية، جامعة مولود معمري تيزي وزو- الجزار،نشر في 2018/10/01، ص90

***الحضارية :**فهي التي سجلت سبقا تاريخيا فقد كانت لغة الفكر والعلم والتقدم قرونا عديدة.

***الثراء:**فهي التي تتميز بجمال التراكيب والجرس الموسيقي والجزالة في التعبير وثراء في المفردات وغيرها.

كما تجدر بنا الإشارة إلى إبراز سمات التشاكل وميزات الترابط التي رصدت بينهما؛ فلقد تبين أن بين الهُوية واللغة، من حيث التشكل والتبلور، معالم تداخل عديدة[45]:

-هما خاصيتان إنسانيتان، وجدتا مع وجود الإنسان فوق الأرض .

-مرتبطتان بالعقل البشري؛ فالإنسان هو الكائن الوحيد الذي يمتلك الفكر والوعي والشعور بالأنا والآخر .

-لا يولدان مع الإنسان و لا يتشكلان لديه دفعة واحدة، وإنما لهما عالقة وثيقة ببيئته؛ فالإنسان يكتسب لغته لحظة يباشر التواصل مع مجتمعه، ثم يثريها ويطورها بزيادة تفاعله مع بني جنسه، والحال نفسها مع هويته فهي لا تولد معه، وإنما يرسمها ويحدد شكلها وألوانها ما يرد إليه من خارجه، فهويته جزء من هوية مجتمعه الذي ينتمي إليه ويتفاعل وإنما يرسمها ويحد معه.

- كلاهما مركب؛ يشتمل على أجزاء متداخلة لا يمكن فصلها عن بعضها،فكما أن اللغة تشمل طرائق عند الجنس البشري وتاريخه وعلاقاته ومشاعره وطموحاته، فالهُوية في جوهرها تركيبة من هذه العناصر جميعها.

لكن ...أيهما أسبق؛ اللغة أم الهُوية؟

يبدو أنه من الصعب على الباحث أن يجد تفسيرا جامعا مانعا، يثبت أسبقية اللغة عن الهُوية أو الهُوية عن اللغة، فبالرغم من البساطة الظاهرية التي تتبدى من العلاقة بينهما، إلا أنها تتضمن درجة عالية من التشابك والتعقيد، يبدوا أن ذلك لا يعفي الباحث، من إيجاد مقترب ولو فلسفي، قد لا يحظى باتفاق الجميع، غير أنه يشكل مفهوما منطقيا أو يقدم تصورا منطقيا، يحرر الباحث من دائرة هذه الإشكالية.

تأسيسا على مقولة أن (الوجود أسبق من الوعي)، وبموجب أن الإنسان يوجد أولا ، ثم يعي ذاته ثانيا، ثم ينشأ التساؤل عن هويته: من هو؟ ولماذا هو في هذا الوضع ؟، يرى حسن حنفي أن الهُوية أسبق في الوجود الإنساني من اللغة وأن اللغة هي ما تعبر به الهُوية

[45] محمود السيد:اللغة و الهُوية، مجلة مجمع اللغة العربية، المجلد (85)، ج03، دمشق، (دت) ، ص ص 642-643

عن نفسها وبواسطتها يعي الإنسان وجوده (هويته)[46]،فالإنسان يتكلم بعد أن يوجد وإثبات وجوده مرتبط بلغته، ألم يقل سقراط في مقولته المشهورة: (تكلم حتى أراك)؟
وهذا ما أقره بدوره الفيلسوف مارتن هيدغر، المؤسس الحقيقي للوجودية بعد هوسرل، الذي كان اهتمامه باللغة بالغا، فقد عدها بيت الوجود وأن فهم الوجود لا يتأتى إلا باللغة؛ فهي من ينقله من التحجب إلى النور ومن الخفاء إلى الإبانة والتجلي، وبموجب هذا - يؤكد هيدغر- "صار الإنسان يوجد بقدر ما يتكلم، فثم ارتباط وثيق بين القول والوجود لدى الإنسان، بين حدوث الوجود و بين اللغة..." لقد صارت اللغة هي التي تعطي الوجود للأشياء والإنسان لا يوجد في العالم إلا بقدر ما يملك لغة[47]"...، ولا يفسر ارتباط وجودنا باللغة هنا، أننا عبيد لها تصنعنا كيفما تشاء وإنما القصد من ذلك، أن "اللغة هي الفلك الذي تسبح فيه كل الكائنات الإنسانية، اللغة أكبر من دواتنا، اللغة هي حياة كل البشر، كل الذوات، هي حقيقة فوق الأفراد الذين يشاركون فيها مشاركة جزئية[48]".

إذا اللغة مرتبطة ارتباطا وثيقا بهوية الفرد، وحين تضعف لغة واحدة تزول معها ثقافاتها وكما جاء عن الفيلسوف الألماني هيدجر الذي قال إن لغتي هي مسكني، هي موطني ومستقري، هي حدود عالمي الحميم ومعالمه وتضاريسه، ومن نوافذها ومن خلال

عيونها انظر إلى بقية أرجاء الكون الواسع، فاللغة التي تدل تدّل على هوية الفرد وتكشف عن ذاته من هو .

[46]حس حنفي، الهُوية والاغتراب في الوعي العربي، مرجع سبق ذكره ، ص ص 10-11
[47]إبراهيم،مصطفى إبراهيم ، فلسفة اللغة نشأتها وتطورها وأبرز أعلامها، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر ،209م،ص203.
[48]مصطفى ناصف، اللغة والتفسير والتواصل، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، (دط) ، الكويت، 1995م، ص213

الفصل الثاني : اللغة والهُوية عند أحمد بن نعمان

المبحث الأول : التعريف بالكتابين

المبحث الثاني : ما طرحه الكاتب عن اللغة والهُوية

المبحث الثالث : مجمل نظرة الكاتب لمكانة اللغة من الهُوية

المبحث الأول : التعريف بالكتابين

1- كتاب " التعريب بين المبدأ والتطبيق " :

1.1 – أسباب ودواعي تأليف الكتاب:*[49]

كتاب "**التعريب بين المبدأ والتطبيق**" إحدى الكتابين اللذين اعتمادنا عنهما في دراستنا أو في عملنا هذا، إذ يعتبر جوهرة وطنية وعلمية نادرة، فيه يبرز الكاتب حسه الوطني ومشاعره الصادقة تجاه حبه للاستقلالية التامة للجزائر، فمن الحيثيات العديدة والمفارقات العجيبة والتناقضات الصارخة بين المبدأ العروبي والواقع التعريبي، ينبع اقتناع " **أحمد بن نعمان** " الكامل بضرورة القيام بهذه المحاولة العلمية كمساهمة في استجلاء معالم الطريق، لإزالة العوائق الطبيعية والمصطنعة الموضوعة في طريق التعريب الحقيقي، الذي يمثل عن كونه غاية في حد ذاته أفضل الوسائل لتحقيق الاستقلال التام والتحرر من قيود التبعية والاستلاب المدمر للشخصية الوطنية القومية، فمتى ما ذهبت اللغة ذهبت الهُوية، فالجزائر تعيش واقعا لغويا حرجا تجسد فيه صراع لغوي يتجاذبه طرفان: اللغة العربية واللغة الفرنسية، وهو من مخلفات الاستعمار الفرنسي الذي عمل بكامل قواه على نزع اللغة العربية، وتعويضها باللغة الفرنسية، فالجزائر مازالت إلى يومنا هذا تعاني من ها الصراع إذ أصبحت اللغة الفرنسية تنافس اللغة العربية في ميدان التعليم وهو الميدان الأهم، وفي بعض المعاملات الإدارية، وفي الاستعمال اليومي، وعند الفئة المثقفة من الشعب وهي تعتبر كارثة عظمى في حق الهُوية الوطنية.

وللدفاع عن الهُوية الوطنية وتحقيق الاستقلال التام للشعب الجزائري كانت أصوات الكتاب في الصحف والكتب والمجلات إحدى السبل الناجحة والمصوغة، وأحمد بن نعمان يمثل أحد هؤلاء الكتاب المناضلون الذين يسعون إلى جعل الجزائر حرة مستقلة من كافة الجوانب، إذ اختار هذا الموضوع دون سواه من المواضيع الأخرى يبين التزامه التام والحقيقي بالقضايا الحيوية المرتبطة بواقع المجتمع العربي المعاصر بصفة عامة وبالجزائر بصفة خاصة، على اعتبار أن الموضوعات العلمية التي تبحث العلم لأجل العلم، بعيدا عن خدمة الواقع العربي وهو الأهم، فمتى ما كانت أصوات هؤلاء الكتاب أمثال احمد بن نعمان أكثر كان السبيل للقضاء على الازدواجية اللغوية وتجريد الهُوية الوطنية من اللغة الدخيلة أسرع، فالمؤلف أحمد بن نعمان قام ببحوث واسعة وبذل مجهودا جبارا في جمع المعلومات والصعود بها إلى نظرة علمية فيها الشمولية والتكامل، وما يزيد عمله هذا بعدا هو توسيعه إلى العالم العربي وإجراء مقارنة مع ما جرى في عدة

[49]* ينظر ، بن نعمان ، أحمد ، التعريب بين المبدأ والتطبيق ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، (د ط)،1981، ص ص 45،8،6

بلدان من العالم وكل لك صاغه في أسلوب غير مصطنع يمتاز بالدقة والسلاسة معا، ويشعرنا بصدق وإيمان الكاتب "أحمد بن نعمان" بقضية التعريب المصيرية.

2.1- الوصف الخارجي للكتاب:

- الاسم الكامل للمؤلف: أحمد بن نعمان

- عنوان الكتاب: التعريب بين المبدأ والتطبيق

- عدد الصفحات: 620 صفحة

- حجم الكتاب: الطول 24 سم / العرض 17 سم/ الحجم متوسط

- دار ومكان النشر والطبعة: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع _ الجزائر 1401ه/1981م

- رقم النشر: 80/884

يحمل الكتاب واجهة تتصدره بخلفية علم الجزائر بألوانه الثلاث(الأحمر والأبيض والأخضر) وهو ما يحيل القارئ على موضوع الكتاب، فهو يمثل رمزا للهوية الوطنية الجزائرية، وفوق الخلفية تظهر بعض الرسومات تتمثل في صور لشخصيات من بينها امرأة بشعر طويل وجندي حامل في يده سلاح، وامرأة تظهر بوجه حزين كأنها في حالة بؤس، تتخلل هذه الرسومات أشكال منها ما هي حروف باللغة العربية وهي الحروف الأبجدية، ومنها ما هي أشكال متداخلة مع بعضها البعض كأنها بالخطوط الهندسية مرسومة، و كل هذه الأشكال والرسومات مكتوبة ومرسومة باللون البني ، فهي تكشف عن موضوع الكتاب (التعريب) ،وبجانبها يوجد العنوان الرئيسي مكتوب بالخط الكوفي باللون الذهبي، كل كلمة مكتوبة في سطر لوحدها تندرج الواحدة تلوى الأخرى، وعلى رأس الواجهة يوجد اسم الكاتب بحجم صغير مكتوب بخط النسخ باللون البني هو أيضا.

3.1 – الوصف الداخلي للكتاب :

يتصدر هذا العمل الإبداعي إهداء ومقدمة ، وصف فيها الكاتب الوضع اللغوي في الوقت الحاضر في العديد من المجتمعات العربية والأمم في العالم المعاصر، كما ذكر الكاتب فيها مدى خطورة احتلال العقول، وهو ما يمثل الموضوع الرئيسي ألا وهو التعريب، ومدى قومية القضية التعريبية كونها تمثل وسيلة للتحرير والتحضير، وغاية للسيادة والاستقلال الثقافي، كما ذكر أهمية المطالبة بالتعريب لفظا ومضمونا إن لم يكن بالقوة والفعل، لأن العروبة شعور قومي ووجداني والتعريب نشر للسان هذا الشعور على أوسع نطاق ممكن، وفيها قدم نموذج عربي حي ألا وهو الجزائر وما تعانيه إلى يومنا هذا من هذه المشكلة، وقال بأن موضوع التعريب في الجزائر تناوله عدد من الكتاب في العديد من

المؤلفات إلا أن معظم تلك الكتابات كانت تتناول الموضوع في بعض الجوانب دون الأخرى، كما أنها كانت عبارة عن كتابات صحفية ذات أغراض آنية. ووضح أحمد بن نعمان طريق انتقال التعريب مع مرور الأيام من مبدأ عام إلى مبدأ خاص، ثم صرح بأسباب تأليفه لهذا العمل وأسباب اختيار هذا الموضوع دون سواه *[50].

أما عن فصول الكتاب فقد قسم بن نعمان كتابه هذا إلى سبعة أبواب ، وهي مرتبة كالتالي :

- الباب الأول : بعنوان " اللغة والمجتمع " ، وفيه تحدث الكاتب عن اللغة بصفة عامة وعن علاقتها بكل من الفكر والثقافة والمجتمع والدين ومن ثم السياسة ، وقد نظمها في ستة فصول متتالية .
- الباب الثاني : بعنوان " الترابط الوظيفي بين الدين الإسلامي واللغة العربية في الجزائر" ، وفيه قدم الكاتب رأيه حول علاقة اللغة العربية بالدين الإسلامي، ووضع اللغة العربية في الجزائر قبيل الاحتلال ، كل هذا صاغه في أربعة فصول .
- الباب الثالث: بعنوان " الاستعمار الفرنسي وسياسته الرامية إلى فرنسة المجتمع الجزائري " ، تحدث فيه الكاتب عن طريقة فرض فرنسا للغة الفرنسية على المجتمع الجزائري ، وكيفية محاربة المجتمع الجزائري لسياسة الفرنسة في سبيل الحفاظ عن اللغة العربية ، وقد صاغ كل هذا في أربعة فصول .
- الباب الرابع : بعنوان " التعريب وأبعاده المختلفة على المستوى الوطني " ، تكلم فيه بن نعمان عن الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للتعريب ، صاغها في أربعة فصول .
- الباب الخامس : بعنوان " التعريب وبعده القومي " ، قدم فيه الكاتب بصفة عامة نظرته حول علاقة اللغة بالقومية وقوة الرابط بينهما ، و مدى تأثير الوحدة اللغوية عن الوحدة القومية ، حيث قسم أفكاره حول هذا الجزء من الكاتب في ثلاث فصول ،يندرج تحت كل فصل مباحث تفصل وتتعمق أكثر في الموضوع.
- الباب السادس : بعنوان " التعريب وبعده الحضاري " ، تحدث فيه بن نعمان عن اللغة والحضارة ، وعن الوضع الحضاري للغة العربية ودور التعريب في النهوض باللغة العربية ، ومن ثم المقومات التي تعترض سير التعريب ، كل هذا وزعه على أربعة فصول ، والفصول

[50] *ينظر ، ابن نعمان ، المرجع السابق ، ص ص 11 -45

مفصلة في مباحث جعلت الخوض في هذا العنوان الشيق أوضح وأدق .

- الباب السابع : بعنوان " الدراسة الميدانية وتحليل نتائجها " ، وفيها طبق الكاتب دراسة ميدانية في بعض المؤسسات الرسمية التي طبقت فيها برامج التعريب، مقسما هذا في تسعة فصول ، كل فصل منها يؤدي إلى الآخر ، حيث أنهاها بالنتائج العامة للدراسة النظرية والميدانية .

2 – كتاب " الهُوية الوطنية حقائق ومغالطات "

1.1- الوصف الخارجي للكتاب :

عنوان الكتاب	الهُوية الوطنية الحقائق والمغالطات
الكاتب	الدكتور أحمد بن نعمان
عدد الصفحات	174 صفحة
دار النشر	شركة دار الأمة
تاريخ النشر	1996 م
مكان النشر	برج الكيفان الجزائر
وصف الغلاف	قسم الكاتب الغلاف إلى أربعة ألوان الأحمر -الأخضر -الأبيض والأزرق وتدل الألوان الأحمر والأبيض والأخضر على علم الجزائر الذي يمثل هويتها ،أما اللون الأزرق فيدل على القوة والسلطة التي في الجزائر ، وقام بكتابة الهُوية الوطنية بأكبر خط على الغلاف في الأعلى وأسفلها عبارة

	"الحقائق والمغالطات "وكتابة اسم المؤلف في أعلى الكتاب على يمين غلاف الكتاب

2.1- الوصف الداخلي للكتاب :

قسم الكاتب أحمد بن نعمان الكتاب إلى فصول، تحدث في الفصل الأول عن الهُوية وتداخل مفهوم الهُوية مع مفهوم الشخصية وذكر أنواع الهُوية وهي نوعان ,هوية فردية و هوية قومية أو وطنية نسبة إلى الوطن أو الأمة التي ينتسب إليها الشعب ، والاختلاف بينهما هو اختلاف في النوع وليس في الدرجة .

وفي الفصل الثاني تحدث عن علاقة الهُوية بالثقافة وعرف الثقافة بأنها مكتسبة ومتبادلة التأثير مع الإنسان، وتؤثر بصفة خاصة على السلوك الفردي والجماعي ، وذكر جانبين للثقافة ملموسين في حياتنا اليومية هما:

1- الجانب المعنوي :ويتمثل في التأمل والتفكير والشعور والاعتقاد

2.الجانب السلوكي والمادي: ويتمثل في قواعد المعاملات في جميع مجالات الحياة "العلائقية" بين الأفراد في المجتمع وكذلك جميع الاختراعات القيمة(العلمية والفنية) التي يحققها هؤلاء الأفراد.

ولكل جانب من الجوانب أيضا مستويات ، هما:

1 مستوى عالمي: هو خاص بالإنسان كالإنسان

2 مستوى وطني : نسبة للوطن أو القومي نسبة إلى القوم والأمة

وقسم الاستقلال إلى استقلال الجنسية ، ويعني بها استقلال بالورق وليس الشعور والعرق والهُوية أو الثقافة ، وتعني أن يصبح لشعب المستعمر جنسية مغايرة لجنسية الدولة التي كانت تحتل أرضه والقسم الثاني من الاستقلال وهو استقلال الهُوية وهو الأصعب دوما ولا يتم بسهولة بعد احتلال الجنسية ولا ينتهي بسرعة.

في الفصل الثالث بين الكاتب العلاقة بين الثقافة والدين ، ومحاولة المعرفة إن كانت العلاقة علاقة جزء بكل أو علاقة كل بكل أو علاقة تطابق أو اختلاف أو ترابط وكان في هذا اتجاهات ، ولكل اتجاه حجج ومبررات في نوعية التقسيم والترتيب.

أما الاتجاه الأول فيجعل اللغة أساسا للثقافة ، والاتجاه الثاني يرى أصحابه أن الثقافة أعم وأشمل في مجالاتها الحياتية من الدين إلى جانب أن الثقافة هي ضرورة لكل المجتمعات الإنسانية مثل اللغة ، وأنها موجودة في كل المجتمعات البشرية مهما تكون

بدائية ، إلا أن الدين ليس موجود بالضرورة في كل مجتمع بشري ، والاتجاه الثالث يرى أصحابه أن علاقة الدين والثقافة علاقة كل بكل رغم وجود علاقة تطابق واختلاف في نفس الوقت ، بين جزء من كل آخر،أما الاتجاه الرابع يرى أصحابه أن علاقة الثقافة بالدين علاقة متكافئة أي علاقة كل بكل أو علاقة الند بالند ، ومنه الثقافة نتيجة من نتائج الدين أو الدين نتيجة من نتائج الثقافة طبقا لوجه نظر الناظر، كما تبين العلاقة المباشرة بين الدين والثقافة عموما يمكن أن تبين علاقة أخرى هامة لربط الدين بالثقافة بصفة غير مباشرة وهذه العلاقة هي اللغة .

ومن ثم الفصل الرابع حيث تكلم فيه عن علاقة الثقافة باللغة وعرف اللغة هي التعبير اللفضي عن الفكر سواء كان داخليا أو خارجيا وبين علاقة اللغة بالفكر،وأنها لولا اللغة التي تربط بواسطتها أفكار الأجيال ببعضها البعض لأضاعت أفكار البشر منذ الخليقة ، ودليل صلة اللغة بالفكر تسمية قوانين الفكر أو العلم الذي يعصم الذهن من الخطأ بالمنطق ، وأن اللغة ليست فقط مجرد وسيلة لنقل الأفكار وإنما هي ذات ارتباط ولصق بالأفكار التي تنقلها ، وذات تأثير وتأثيرها يتمثل في جمع الأدوار التي تقوم بها اللغة في المجتمع ،فنجد لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة بالثقافة، فعلاقتها بالفكر والتعليم والتقاليد هي علاقة بالثقافة ،لأنهم يمثلون عناصر الثقافة ، لذا فالعلاقة بين اللغة والثقافة علاقة تكاملية .

والفصل الخامس تكلم فيه عن اللغة والسياسة ، وذكر العلاقة بين السياسة واللغة في العديد من الحالات السائدة في حياتنا المعاصرة ، كالصراع الإعلامي بين الدول المعارضة النظم والمصالح وحرص معظم الدول المتقدمة على شرح لغتها، فالسياسة تتأثر باللغة وتؤثر بدورها في اللغة .

وتوصل الكاتب في الفصل السادس إلى عنصر مهم جدا وهو الازدواجية اللغوية وأكد على إدراجه ضمن بحث الهُوية لكشف بعض مراسيها الخفية والتبيين ما للوطن فيها وما للعلم ، ولتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود .

في هذا الموضوع قسم الكاتب أحمد بن نعمان الازدواجية اللغوية إلى ثمانية أنواع و أشكال ورتبها على النحو التالي :

1-ازدواجية العامة

2-ازدواجية خاصة

3-ازدواجية دائمة

4-ازدواجية مرحلية

5- ازدواجية فردية

6-ازدواجية فئوية

7-ازدواجية إيجابية

8- ازدواجية سلبية

والفصل السابع كان موضوعه عن المغالطات الحزبية حول اللغة والهُوية في الجزائر ، و ذكر مجموعة من التيارات السياسية و العقائدية ، وحددها الكاتب وحصرها من خلال عناوينها و أسمائها و أقوالها و أفعالها في ثمانية تيارات هي :

1- التيار الأول: وطني عربي إسلامي
2- التيار الثاني: وطني إسلامي (لا قومي)
3- التيار الثالث: وطني عربي (لائكي)
4- التيار الرابع: إسلامي أممي (لا وطني ولا قومي)
5- التيار الخامس: قومي عربي لائكي (لا وطني ولا إسلامي)
6- التيار السادس: شيوعي أممي (لا قومي ولا وطني ولا إسلامي)
7- التيار السابع: وطني لبرالي "مستغرب لغة وثقافة" (لا عربي ولا قومي ولا إسلامي)
8- التيار الثامن: وطني انعزالي فاشي عرقي جهوي "مستغرب لغة وثقافة" (لا عربي ولا قومي ولا إسلامي).

وذكر موقفها من مقومات الهُوية ، فجميعها ينحصر في قطبين اثنين لا ثالث لهما، وهما:

1- قطب وطني عربي إسلامي
2- قطب وطني تغريبي لائكي

فالقطب الأول لا يخرج عن مسألة جبهة التحرير الوطني ، والقطب الثاني له رأي مناقض تماما للقطب الأول في مسألة اللغة و الهُوية ، وقد قام أيضا بملامسة بصمات هذا القطب ونتائج أفعاله.

المبحث الثاني : ما طرحه الكاتب عن اللغة والهُوية

1- في كتاب التعريب بين المبدأ والتطبيق :*[51]

1.1-اللغة والقومية ونظريات القومية الكبرى:

اعتمد الدكتور أحمد بن نعمان في كتابه "التعريب بين المبدأ والتطبيق" على مصطلح "القومية" وهو لا شك بأنه يتطابق في مفهومه مع مفهوم الهُوية، إذ يعرفها بقوله: (القومية هي شعور بترابط معين بين أفراد من البشر تجمعهم خصائص معينة)، هذا من وجهة نظر الكاتب،في المقابل يوجد من الباحثين وتعارض أطماع السياسيين جعلت مفهوم القومية يرتكز على بعض عناصرها وإهمال الأخرى، نتج عنها ظهور اتجاهات مختلفة أدت إلى تكوين مدارس ونظريات عدة حول العناصر الأساسية التي تولد ذاك الشعور القومي لدى الأفراد وتجعلهم أمة واحدة تسعى للعيش تحت راية دولة واحدة، وهي أربعة نظريات .

أول هذه النظريات النظرية الاقتصادية وملخصها يكمن في أن وحدة الحياة الاقتصادية هي الأساس للقومية، في الوقت نفسه تؤكد هذه النظرية على توفر أربعة عناصر متكاملة في تكوين الأمة وهي وحدة الأرض ووحدة اللغة، ووحدة الثقافة ووحدة الحياة الاقتصادية ،إذ نجد ستالين وهو صاحب هذه النظرية لم يتخلى على بقية العناصر المساهمة في تشكيل القومية ،كونه اصطدم بالواقع الذي برهن له أن الخصائص القومية كاللغة والثقافة والتاريخ المشترك تبقى عاملا من عوامل التميز القومي، فعمد إلى التظاهر باحترام اللغات والخصائص القومية للجمهوريات، وقام بفرض الطابع الروسي بإجبار سكان الإمبراطورية جميعا على تعلم اللغة الروسية.

نستنتج من ما سبق أن اللغة هي الأساس في حفظ الثقافة والتاريخ المتعلقان بدولة ما، وأنها من أقوى الدعائم لتكوين الأمة ،فارتباطها بالهُوية يتخطى معناها اللغوي والتقني المجرد إلى كونها رمزا للمجتمع الذي تعبر عنه وأداة لتفاعله وطريقة أهله في التفكير والتعبير،إضافة إلى كونها قضية اجتماعية ذات صلة وثيقة بهوية الدولة وشخصية مواطنيها وعاملا حاكما يسهم في تقوية الانتماء والترابط والولاء لديهم.

أما نظرية مشيئة المعيشة المشتركة وهي كما يبدو لا تبتعد في مضمونها عن النظرية الاقتصادية، إلا أنها أقل منها صراحة.. حيث لا تتعرض ـ عن قصد ـ للعناصر القومية الأخرى التي أقر بها ستالين صراحة، والتي تكون الشعور لدى الأفراد بالرغبة في العيش المشترك، وقد ظهرت هذه النظرية في فرنسا على يد أرنست رنان، ولا يخفى القصد السياسي من هذه النظرية التي عرفت (بالنظرية الفرنسية) إذ هي تتفادى كثر العناصر

[51]* ينظر ، بن نعمان أحمد ، التعريب بين المبدأ والتطبيق ، مرجع سبق ذكره ، ص ص235- 307

القومية الأساسية **كاللغة والثقافة والتاريخ لتعارضها** مع طموحات السياسة الفرنسية في تكوين إمبراطورية فرنسية تضم تحت شعار الأمة الفرنسية أشتاتا، وألوانا من الشعوب المتباينة لغة، وثقافة، وتاريخا، لتذويبها في بوتقة الأمة الفرنسية. وهي إذ تتظاهر باعتقادها بمشيئة المعيشة المشتركة لشعوب الإمبراطورية تعمل كل ما في وسعها ـ في نفس الوقت ـ على استئصال الخصائص القومية لتلك الشعوب والأمم التي احتوتها بحد السيف، ولا نجد دليلا أقوى على ذلك مما فعلته مع الشعب الجزائري في هذا المجال...

والملاحظ أن هذه النظرية تعتمد على الإرادات الفردية، وبذلك تعتمد على أساس مزعزع، فقد تكون هذه الإرادات غير واعية فتنجح إلى التفرقة والتشتت، كما أن مشيئة البشر لا تبقى ثابتة على حال واحدة، بل تتغير تبعا لتغير الظروف المحيطة بها، كما تتأثر بالدعايات المختلفة القائمة أحيانا على الخداع والإغراء وأحيانا على الإقناع السليم. ونظرا لكون المشيئة في هذه الحالة متغيرة ومتقلبة، فإنها لا تصلح لتكون العامل الأساسي في تكوين الأمة.

والواقع أن الأمم لم تتكون إلا نتيجة لوحدة اللغة بالنسبة لمجموعة من الأفراد، وبناء على التاريخ المشترك الذي مرت أحداثه على هذه المجموعة. وبذلك فإن هذه النظرية لا تصلح لتفسير نشأة الأمم.

ثم النظرية الدينية وهي القائلة بأن وحدة الدين هي الأساس الأول للقومية، نجد أصحابها رغم اعتبارهم بأن الدين هو الأساس في تكوين الشعور القومي ،إلا أنهم يفتوون يسندون هذا الأساس بعناصر أخرى ضرورية في تكوين الأمة وفي مقدمتها اللغة المشتركة ، فعلى سبيل المثال نجد الدولة العبرية تضع لغة التوراة في أعلى مراتب التقديس، وتفرض تعلمها واستعمالها الرسمي الإجباري على كل يهودي حاصل على جنسيتها الإسرائيلية، إذ ذهبت في تشددها على هذا الأمر إلى درجة تغيير أسماء اليهود المهاجرين من أسماء عربية إلى أسماء عبرية، كل هذا يؤكد مدى تنبه اليهود لقوة العنصر اللغوي الثقافي في تكوين وتقوية الشعور القومي، فضلا عما للدين من علاقة قوية باللغة التي تحفظ بها كتبه المقدسة ، ويظهر ذلك جليا في العبرية مع التوراة، والعربية مع القرآن.

ما نلاحظه هنا هو قوة ارتباط العامل الديني باللغة فهما عنصران متكاملان ،إذ نجد الدين لا يمكن ممارسته في صورته الحقيقية إلا بواسطة اللغة وهذا في جميع الأديان ، كما أن اللغة تسعى لحفظ هذا الدين من التشويه والاندثار.

في المقابل نجد النظرية اللغوية مخالفة تماما للنظريات المسبوق ذكرها، والتي تنبني على أسس مختلفة كالاقتصاد والدين، ويعتبرها أصحابها الأساس الأول في تكوين الأمة مع الإقرار بقوة اللغة المشتركة كعنصر ضروري مكمل لأساس القومية، فهي تعتبر

العامل المشترك الأعظم لدى النظريات الثلاث ومن ثم يذهب أصحابها إلى اعتبار اللغة المشتركة هي الأساس في تكوين الأمة.

تمثل اللغة المشتركة السبيل لاستكشاف دواخل الأمة فمن خلال ألفاظها تعبر عن كوامن الإحساس بالمواطنة والشعور بالصلة والتوافق بالمشاعر، وهي من أقوى عوامل الوحدة والتضامن بين أبناء الأمة الواحدة، وهي بالتالي تجعل من الأمة الناطقة بها كلا متماسكا ومتراصا تحكمه قواعدها وأصولها، وتوحد تفكيرهم وأساليبها وطرائقها. ويقول الرافعي :

" إن اللغة صورة وجود الأمة بأفكارها ومعانيها وحقائق نفوسها وجودا متميزا قائما بخصائصه".[52]

فاللغة نشأت مع الأمة، ومنذ نشأتها لازمتها ملازمة الروح للجسد في جميع فترات تطورها ،وبها توحدت قديما، وتتوحد اليوم ، وتؤلف في هذا العالم رقعة من الأرض ،تتحدث بلسان واحد، وتصوغ أفكارها وقوانينها في قالب تلك اللغة.

2.1-علاقة اللغة بالثقافة القومية:

تحدث الكاتب في هذا الفصل عن علاقة اللغة الأم بالفرد الذي يكتسبها، وطريقة اكتسابها، ثم تطرق إلى الأهم وهو مكانة اللغة القومية على مستوى الجماعة، يقول في هذا المقام أحد الباحثين في فلسفة اللغة:"مما لا شك فيه أن المرء قادر على أن يربط علاقات ود مع أكثر من مجتمع،وامرأة،ولسان، لكن باطنه عينا لا يتحقق إلا في واحد أحد،والد واحد، لسان واحد، مجتمع واحد، عائلة واحدة،والدة واحدة".كأن الباحث هنا ما أراد قوله هو أن الإنسان إذا كان قوميا عاجزا على أن ينتمي إلى أكثر من مجتمع فإنه بطبيعة الحال عاجزا على الانتماء إلى أكثر من لغة قومية واحدة، وهي لغة المجتمع الذي ينتمي إليه، إذا فلكل مجتمع لغة قومية واحدة هي أقوى جامع ومعبر عن عواطفه، وأفكاره، وواقعه الثقافي، فإذا أراد شخص ما التعبير على فكرة بغير لغته القومية فإنه حتما لا يمكن إيصال تلك الفكرة بذلك الأسلوب والطريقة التي يجب أن تكون عليها إلا بلغته القومية.

ويقول الباحث في مكان آخر"من هنا كان الشعب الواعي الشريف العفيف يكبر شأن لغة القومية ويحرص عليها كما يحرص على عرضه، متى ذلت هي ذل هو،لغة الأم هي أم اللغات التي يتكلمها المواطنون سميت قومية لأن بلاغة الفكر لا تستقيم إلا بها،وفصاحة اللسان لا تقوم إلا عليها، فعلاقة الشعب بلغته القومية هي أكثر من شكل قاموس...". ومن ثمة فالشعب الذي يتبنى لغة أجنبية عنه ستحتل مركز الصدارة لديه، وتصير بدورها اللغة القومية، وإذ ذاك تلغي أمومة اللغة الأولى، لتصبح لغة تابعة ومتى تأجنبت اللغة تأجنب

[52]الرافعي ، مصطفى ، وحي القلم ، ج 3 ، دار المعارف ، القاهرة ، (د ط) ، (د ت) ، ص 282 .

الفكر حتما، ومتى تأجنب الفكر تأجنب الشعور القومي، وذلك لأنه لا يمكن نفسيا أن يستبدل مجتمع بلغته القومية لغة أجنبية دون أن تميل كل عواطفه نحو الشعب الذي يتكلم اللغة المتبناة، وهذا الأمر هو ما نشاهده فعلا في حياتنا اليومية وخاصة الدراسية ،إذ نجد طلبة اللغات الأجنبية متأثرين بثقافة اللغة المدروسة ، سواء في اللباس أو حتى في الفكر أصبح أجنبي،كما نجدهم يفضلون مشاهدة الأفلام باللغة الأجنبية بدلا من العربية ،أيضا الكتب والقصص والروايات يسعون دائما للحصول على النسخ الأجنبية والتخلي عن النسخ العربية،فهم يحاولون تقليد ثقافة ومجتمع تلك اللغة بشتى الطرق لأن الفكر أصبح أجنبي،ونجد تلك الأحكام تنطبق على المجتمعات التي تستبدل بلغتها القومية لغة أجنبية في حالة اختيار وليس في حالة اضطرار، وهو الحال الذي كان عليه المجتمع الجزائري في عهد الاستقلال،أما بعد الاستقلال فلا يشذ عن القاعدة.

ومن خصائص اللغة القومية أن تكون لسان الغالبية العظمى من فئات المجتمع،وإذا انقسمت فئات المجتمع إلى متحدثين بلغات مختلفة،مع جهلهم للغة القومية المشتركة فإن اللغة القومية مآلها الزوال لتحل محلها لغة الفئات الغالبة في المجتمع.

ولذلك يجب أن تحتل اللغة القومية مكان الصدارة بين اللغات الأجنبية المتداولة في المجتمع، ومعنى الصدارة هو إعطاؤها الأولوية في كل ميادين الفكر، وفي كل النشاطات الاجتماعية، فاللغة القومية وقف على الشعب في جميع نواحي وجوده القومي، وفي الصناعة، والزراعة، والتجارة، والسياسة، والفلسفة، والطب، والمحاماة...إلى غير ذلك من الميادين التي تعبر عن مظاهر الثقافة، والحضارة للأمة، وفي ذلك يقول كمال يوسف الحاج:"الأمة الراقية لا تكون لغتها راقية في ناحية دون ناحية، لا تكون لغتها راقية جزئيا، كأن تكون لغة الأدب والشعر، والدين، ولا تكون لغة باقي العلوم. الأمة الراقية لا ترضى للغتها إلا ارتقاء العلم الذي هو اضمن صك لمناعة بقائها، وأصلح طريقة لجعلها قوامة على سواها تحت سقف بيتها..أما اللغة التي لا تعبر إلا عن بعض أحوال الأمة (كأن تكون لغة القلب ولا تكون لغة العقل) فهي لغة عوراء تظل عرضة للزوال عندما تجابه لغة ثانية من الخارج .اللغة الأم تتناول متكلميها في جميع أحوالهم العقلية، والقبلية، لأنها لا تقبل ضرة في عقر دارها، هذه هي اللغة المرفوعة الشأن، وهذه هي الأمة العزيزة الجانب، فاللغة القومية والأمة القومية شرطان متلازمان، الأولى أصدق الصور عن الثانية،واضبط المقاييس لها، تزدهر بازدهار الأمة وترتقي بارتقائها، وتلاحقها في كل مظاهرها الاجتماعية حتى إذا ما انحدرت الأمة انحدرت اللغة معها..." [53]تلك هي اللغة القومية أو اللغة (الأم) لدى الجماعة التي تتحدث بها وتلك مكانتها (كما يجب أن تكون لدى الفرد ولدى الجماعة..).

[53] كمال الحاج ، يوسف ، فلسفة اللغة ، بيروت ، (د ط) ، 1956 ، ص 154

فهناك جهود مهمة ودعوات صادقة لتعزيز مكانة اللغة القومية وتطوير أدوارها، لا سيما في مجالات التعليم والمعرفة والعلم والإدارة، وذلك بالنظر إلى كونها عنصرا من عناصر النهضة ومظهرا من مظاهر النضج والقدرة على تجسيد الهُوية الوطنية.

وكما لاحظ كثيرون، فإن هناك في العديد من البلدان العربية أجيال أصبحت عاجزة عن فهم لغتها القومية. ولا تكاد تجيد القراءة والكتابة والتعبير عن نفسها إلا باللغات الأجنبية ..لذلك قد يأتي يوم تصبح فيه اللغة العربية لغة ثانية في هذه البلدان، ما لم يتم تدارك الوضع باعتماد سياسات تعيد اللغة القومية مكانتها في مجالات الحياة المختلفة، خاصة في ميادين التعليم والإعلام والعلم، وهذا ما نشهده في معظم بلدان الخليج وخاصة دولة الإمارات العربية المتحدة، حيث أصبحت تعتمد اللغة الانجليزية بالدرجة الأولى في كل قطاعاتها، والأهم في قطاع التعليم، حتى أنه لا يمكن لأحد منا الذهاب لها ما لم يكن له زاد من اللغة الانجليزية، بالرغم من أنها دولة عربية أصيلة، وهذا يعتبر مشكل عويص بطبيعة الحال وشكل من أشكال اندثار الهُوية.

ولبيان أهمية اللغة القومية كعنصر أساسي في أي نهوض حضاري يمكن أن نذكر بعض التجارب:

أ-الصين: كانت تعتمد على اللغة الانجليزية، لكن بعد الثورة الثقافية التي أطلقها (ماوس تونج) أصبحت اللغة الصينية هي الرسمية والميمنة في كل مجالات الحياة، رغم أنها كانت تعاني من تعقيدات في كتابتها.إلا أنه رغم الصعوبات في هذا المضمار، فقد رفض الصينيون التخلي عن لغتهم واستطاعوا خلال 30 سنة أن يؤسسوا تنمية اقتصادية واجتماعية وعلمية فريدة، وتمكنوا من إيجاد الحلول لكثير من المشاكل، بل فجرت الصين قنبلتها الذرية، وصنعت الصواريخ العابرة للقارات، وأرسلت الأقمار الصناعية ودخلت عصر الفضاء .

ب- كوريا: في سنة 1946م، وجدت كوريا الجنوبية نفسها في وضع تسيطر فيه اللغة اليابانية سيطرة كاملة على الحياة الكورية ، فأصدر قادتها قرارا تاريخيا بأن تكون كل الأنشطة في كوريا باللغة الكورية ، فبحثوا عن العارفين باللغة الكورية ، ولم يجدوا إلا عددا قليلا من العجزة وكبار السن في الأرياف البعيدة ، فأحضروهم للمدن وكلفوهم بتعليم مبادئ اللغة الكورية للمثقفين من معلمين وأطباء ومهندسين وإداريين ...الخ ، وسرعان ما أصبح التعليم في كوريا بكل مراحله من الابتدائية إلى الجامعة باللغة الكورية . وخلال عشرين عاما تحولت هذه اللغة التي كانت شبه بدائية إلى لغة علم ومعرفة وصناعة ، وأصبحت كوريا واحدة من أكبر الأسواق الصاعدة ذات الصناعات العصرية المزدهرة.

3.1- دور اللغة في نمو الثقافة الفردية وتطورها:

إذا كان لكل ثقافة قومية خصوصيات تطبعها المميز، فإن اللغة تأتي في مقدمة هذه الخصوصيات، ومن ثمة يعدو التصاق اللغة(الأم) بالثقافة القومية التصاقا لا يقبل أي واحد منهما بديلا عن الآخر.

وإذا حدث تزاوج (تهجين) بين لغة قومية لمجتمع، وثقافة قومية لمجتمع آخر، فإن النتيجة الحتمية لن تكون إلا تأثير اللغة في ثقافة المجتمع الجديد،إذا كانت ثقافة تلك اللغة قوية، أو تأثير اللغة الثقافية بثقافة المجتمع الجديد، إذا كانت ثقافة المجتمع أقوى، وفي كلتا الحالتين لا يحدث تعايش طبيعي أبدا إلا على حساب أحد الطرفين أو على حساب الاثنين معا..!

فالثقافة هي أهم عوامل محددات الهُوية والشخصية، ومركز إيداع وترسيخ القيم والمبادئ وموطن إبراز المميزات والمؤهلات المتفردة، وبالنظر إليها تتبدى الهيبة الحضارية والتألق الذاتي، بريقها وانتشاره دليل على رقي وتطور وتحضر أهلها وأبنائها.

والأسلم - إذن – أن تعمل كل لغة على تطوير ثقافتها القومية كما تعمل على تقوية اللغة القومية وإثرائها، بما تمدها به من مقومات الحياة والاستمرارية، وذلك يحدث من جراء التنظيم الواعي المدروس لعمليات التأثير والتأثر الحاصل بين اللغات القومية فيما بينها، وما تنقله تلك اللغات من ثقافات مختلفة (عن طريق الترجمة إلى اللغة الأم)لتلقيح ثقافتها القومية بمصلها اللغوي القومي..

ومن هذا المنطلق لا ينبغي أن نتخوف من اللغات الأجنبية على اللغة القومية إذا كان إتقاننا للغة، أو لغات أجنبية، مسبوقا بإتقان للغتنا القومية، فبهذه الكيفية لا تصبح معرفة اللغة الأجنبية خطرا على الشعور القومي، بل على عكس من ذلك قد تصبح عامل قوة لصالح اللغة والثقافة القومية، لأن معرفة ثقافات غيرنا تساعد على تطوير ثقافتنا إلى ما هو أحسن، وتطوير ثقافتنا يؤدي بدوره إلى تقوية لغتنا القومية، وهكذا دواليك تسير الحياة نحو الأحسن بكيفية مضطردة.

الشرط إذن لتنمية الثقافة القومية أ يبقى الوعي القومي (مع الانفتاح نحو اللغات الأخرى) حيا قويا واستمرار شعلته متوهجة، فذلك هو الكفيل لبقاء وحماية الثقافة القومية، بل وتطويرها إلى الأفضل.

فمفهوم الثقافة يرتبط ارتباطا حيويا باللغة من حيث أنها أداة ووسيلة ومحور استقطاب للفاعليات والنتاجات الدائرة في محيط الثقافة وجوهرها،واللغة هي أحد الأركان الأساسية للثقافة القومية،وذات التأثير الأعظم فيها، بما تتوفر عليه من قدرة الامتصاص للثقافات الأخرى، كالنحلة التي تمتص الرحيق من مختلف الزهور لتخرجه عسلا مصفى في خليتها.

4.1 – خصائص اللغة القومية وما يميزها عن اللغات الأجنبية:

تعد اللغة القومية(الأم) هي لغة الشخص التي اكتسبها في الصغر من خلال البيئة التي تعرض لها بدون أي اجتهاد ومعرفة من هذا الشخص، بينما تعد اللغة الثانية اللغة التي يتعلمها الشخص عن إدراك ورغبة منه أن يتعلم هذه اللغة لغايات عديدة وأهمها التواصل مع المتحدث الأصلي لتلك اللغة، فاللغة القومية هي التي غرزت بالشخص منذ ولادته وتتطور لديه من خلال التعرض لهذه اللغة بشكل يومي وخوض العديد من التجارب فيها، فلا بديل لهذه اللغة فهي تعتبر كلغة حتمية، كما أنه لا يوجد خيار للشخص باختيار لغته الأولى أو لغته الأم.

من مميزات اللغة القومية عن غيرها من اللغات التي قد يتقنها الفرد إتقانا جيدا بعد لغته(الأم) القومية، أن هذه اللغة تكون هي الواسطة الطبيعية لنقل ثقافة المجتمع عبر الأجيال، وأنها الوسيلة الأولى للتعبير عن الانفعالات الصادقة والعواطف والمشاعر (لأفراد المجتمع الواحد ذي الثقافة المتجانسة) ولا يمكن أن تقوم لغة أخرى بهذا الدور النفسي مكانها. لأن لكل لغة خصائص وملامح تميزها وتميز الناطقين بها، وتربط عرى المشاعر بينهم وتوحدها...، ومن خصائص اللغة القومية:

أولا: تتميز كل لغة عما عداها من اللغات في هذا المجال، فكل لغة لها أسلوبها المتميز في التعبير عن الفكرة أو الرأي، بحيث أنه لو ترجمت هذه الفكرة إلى لغة أخرى فإنها لابد أن تفقد جزءا ولو يسيرا في معناها الأصلي، مهما كانت براعة المترجم ودقته. وهذا نلاحظه بكل وضوح في الكتب المترجمة للمعاني الكلية والمشاعر والأفكار العميقة، فنلحظ الفارق الكبير بين أسلوبي التعبير في الأصل، والتعبير في النقل، فأقصى ما يفعله المترجم البارع أن يحلل محتوى الفكرة في اللغة الأصلية، ثم يركبه في أسلوب اللغة الجديدة، وعند التحليل والتركيب، يذهب الكثير من أصالة المعنى للنص الأصلي، ولذلك يقول مثل ايطالي (المترجم غشاش).

ثانيا: تختلف اللغات في مدى مرونتها وقدرتها على استيعاب الأفكار والتعبير عنها وتحليلها للخبرات المختلفة للناطقين بها..ذلك انه كما تختلف الأساليب التعبيرية من لغة إلى أخرى، كذلك تختلف اللغات فما تحويه كل منها، من خبرات ترجع إلى الثقافة النوعية لتلك اللغة، فمثلا لكل لغة اصطلاحات خاصة بها،وقد لا يوجد ما يقابلها في اللغات الأخرى، والفرد يمتص هذه الاصطلاحات مع الممارسة العملية في بيئته الاجتماعية منذ الطفولة حتى تصبح جزءا من كيانه اللغوي، وإذا ترجمت هذه الاصطلاحات بحرفيتها إلى لغة أخرى قد يصبح الكلام غير ذي معنى بالمرة، أو يكون له معنى آخر مخالفا لمعناه الحقيقي في لغته الأصلية.. كما أن كل لغة تشتمل على مواقف لغوية وعادات في

الأسلوب، وتنظيم خاص للجمل والعبارات تختلف - أن قليلا أو كثيرا- عن مثيلاتها في اللغات الأخرى.

ثالثا: تختلف الخبرات الخاصة بكل لغة عن غيرها من اللغات ومرد ذلك إلى أن تباين طرق وأساليب التفكير من شعب لآخر، واختلاف السلوك الاجتماعي، واختلاف المعايير والقيم والأخلاقية، وآداب المعاملة واختلاف العرف السائد، تبعا لاختلاف أنواع الثقافة، ومستوياتها.. يجعل من المتعذر على الإنسان أن يقوم بترجمة عمل أدبي كبير، من لغة إلى أخرى ترجمة دقيقة مطابقة للمعنى الأصلي، مطابقة كلية، ذلك أن بعض الخبرات الخاصة بمجتمع من المجتمعات، والتي تكون ذات معنى وقيمة..كبيرة لديه ،تبدو غير ذات قيمة، أو شاذة، أو لا معنى لها في ثقافة مجتمع آخر.

رابعا: اختلاف القيم الانفعالية للمفردات اللغوية، وذلك يرجع إلى أن لكل كلمة تاريخا لغويا طويلا، ومدلولا مميزا في ذهن الشخص الذي يستعملها في أحاديثه أو في كتاباته، وللمفردات اللغوية مدلولات انفعالية لا يدركها إلا الناطقون باللغة من أهلها، أو ممن يتقنونها من الأقوام الأخرى.

ونخلص من كل ما تقدم إلى أن الصلة بين اللغة القومية وأصحابها تقوم على دعامات قوية من خبرات المجتمع نفسه ومن التراكيب اللغوية التي تتميز بها لغة عن سواها، تلك التراكيب التي تكبر مع الشخص وتنمو معه حتى تصبح قطعة من حياته ومن ثمة كانت للغة(الأم) علاقة لا تنفصم بالثقافة القومية بل يمكن اعتبار كل واحدة منهما وجها لعملة واحدة، وهذا ما يجعل الخطر، كل الخطر، على الثقافة القومية، إذا غزتها لغة أجنبية دون أن يكون لدى أفراد تلك الثقافة مناعة قوية، من لغتهم القومية، التي يفترض أن تكون هي اللغة (الأم)،لكل أفراد المجتمع أو للأغلبية العظمى منه، حتى لا يكون لمن لا يعرف اللغة القومية بالقدر الكافي (وهذا يحدث في الحالة التي لا تكون اللغة القومية للفرد هي لغته الأم، بسبب ولادته ونشوئه في بيئة اجتماعية أخرى، أو من والدين لا يتكلمان اللغة القومية مع الطفل مثلما يحدث مع بعض الأسر العربية في المهجر الأوروبي..) حتى لا يكون لهذه الفئة من أفراد المجتمع القومي تأثير على اللغة القومية وبالتالي الثقافة القومية.

5.1- علاقة اللغة بالشخصية القومية:

إن التفرقة الحقيقية بين شعوب المعمورة لا تتمثل في الحواجز الطبيعية كالغابات والجبال والأنهار والبحار،والصحاري، التي كادت أن تقضي عليها الاختراعات العلمية في العصر الحاضر..بل إن أقوى ما تتمثل فيه، هو اختلاف الشعوب في اللغات وما يستتبع ذلك الاختلاف من تباين في الثقافات.

اللغة هي التعبير الحقيقي عن الفكر الاجتماعي حيث أن الطابع الفكري لأفراد المجتمع، إنما يتجسد عبر الألفاظ والعبارات التي تتكون منها اللغة. فاللغة هي التي تسمح وتحافظ عن وحدة وتماسك أفراد المجتمع الواحد والأمة الواحدة ، بل أن اللغة هي التي تفرض على الجماعة التماسك في واقع تميز بالتجزئة والتفتت فرضتها ظروف التدخل الأجنبي وحركية الاحتلال الذي فرض عليها الخضوع إلى سياسته الدخيلة والأجنبية بكل مبادئها السياسية، والثقافية والوطنية.نتج عن هذه الوضعية هدر الكرامة والهُوية، فبهذا المعنى، تصير اللغة الوعاء الذي يحفظ ويحمي هوية الفرد داخل المجتمع، ويحفظ التراث الوطني للمجتمع، كما جاء في قول الرافعي أن اللغة صورة وجود أمة بأفكارها ومعانيها وحقائق نفوسها، وجودا متميزا قائما بخصائصه .

إن الشعوب التي تتكلم لغة (أم) واحدة تكون ذات قلب واحد وروح مشتركة ولذلك تكون أمة مشتركة يتوق أفرادها إلى العيش تحت لواء دولة واحدة، وقد يبقى هذا التوقان في طور القوة، ولا ينتقل إلى الفعل. اذا صدمته العقبات السياسية المعروفة، ولكنه يبقى دائما متأججا في أعماق الأفراد، كالنار تحت الرماد، لا تلبث أن تشتعل بمجرد أن تذرو الرياح القومية ذلك الرماد.

ومن الأمثلة الحية التي لا نجد بدا من سوقها في هذا المضمار هي خلاصة الفلسفة القومية التي دعا الفيلسوف الألماني فيختة (FICHTE) إلى تطبيقها، والتي عرفت فيما بعد بالنظرية الألمانية في القومية.

وتقوم هذه الفلسفة على اعتبار كل الشعوب التي يتكلم أغلبية أفرادها اللغة الألمانية، بمثابة أمة واحدة يتعين عليهم أن يطرحوا جانبا كل ما يفرق بعضهم عن بعض، ويتمسكوا بأهداف هذه الوحدة. وتظهر معاني هذه المبادئ في الخطب السياسية التي كان يوجهها إلى أفراد الشعب الألماني حيثما كانت الرقعة الأرضية التي يوجد بها، والدولة السياسية التي ينتمي إليها بجنسيته،حيث كان يستهل خطبه بقوله:

"وعندما أخاطبكم أنتم المجتمعين أمامي هنا يتوجه ذهني من ورائكم إلى جميع الذين يتكلمون اللغة الألمانية" ويصرح بأنه يخاطب جميع هؤلاء،كما لو كانوا مجتمعين بجانب المستمعين الجالسين أمامه، لأنه يعتبرهم جميعا أبناء أمة واحدة، يكرر فيختة رأيه هذا دائما في خطبه حيث يؤكد أنه يخاطب الأمة الألمانية دون أن يلتفت إلى التجزئة التي منيت بها، من جراء أنانية الملوك والأمراء من ناحية، ومن جراء دسائس الدول الأجنبية الطامعة في البلاد الألمانية من ناحية أخرى..يخاطب جميع الألمان مهما تباعدت البلاد التي يقطنونها، وتباينت وتصارعت الدول التي يتبعونها..لأنه يعرف أن كل ما بينهم من فروق عارضة هي وليدة الظروف الطارئة التي جزأت الأمة الواحدة إلى دول عديدة.

ولتلخيص الفلسفة الفختية في موضوع اللغة والقومية، نورد هذا الحوار القصير الذي أجراه (على الطريقة السقراطية) مع أحد أهالي بروسيا، حيث فاتحه فيخته قائلا:

_ أنت، ألست ألمانيا

_ويجيب الرجل بحسم:

_كلا أنا لست ألمانيا، بل أنا بروسي

ويرد عله فيخته بالكلمات التالية:

_ أصغ جيدا إلى ما سأقوله لك الآن: إن الفوارق بين الأهالي بروسيا وسائر الألمان، ما هي إلا فوارق عارضة وسطحية، ناتجة عن الأحداث الاعتباطية التي أوجدتها الصدف، وأما الفوارق التي تميز الألمان عن سائر الشعوب الأوروبية، فإنها أساسية وقائمة على الطبيعة، فإن اللغة التي يشترك فيها جميع الألمان تميزهم عن جميع الأمم الأخرى تمييزا جوهريا.[54]

نستنتج من أقوال فيخته أن الذين يتكلمون بلغة واحدة يكونون كلا واحدا ربطته الطبيعة بروابط متينة وان كانت غير مرئية بالعيون، كما أن الحدود الأساسية التي تستحق التسمية باسم الطبيعة هي الحدود الداخلية(النفسية) التي ترسمها اللغات، فالين يتكلمون اللغة الواحدة يرتبط بعضهم ببعض بروابط عديدة، تكون منهم كلا لا يقبل الانفصام، إلا قسرا كما وقع للألمانيتين، أو الكوريتين، أو اليمنيتين، أو الفيتناميتين..أو الصينيتين.

وإذا كانت الآراء التي لخصناها أنفا تتسم بمسحة فلسفية تجريدية، معيارية..فإن الأحداث والتطورات التاريخية التي أعقبت نشوء النظرية القومية عند الألمان في العديد من الأقطار الأوروبية، قد برهنت على صحة هذه النظرية إلى حد بعيد كما سيتضح لنا من الحقائق التالية:

ونبدأ بألمانيا ذاتها: فبعد أن كان الألمان مجزئين إلى ما يقرب المائة من الدول والدويلات المتطاحنة، وبعد أن كان كل فرد في هذه الكائنات السياسية يحدد وطنه بدود الدويلة التي ينتسب إليها، وبعد أن كان أفراد الشعب الألماني على هذه الدرجة من التمزق صاروا يشعرون بعد نضج الوعي القومي، لديهم بأنهم أبناء أمة واحدة، وعملوا بما يمليه عليهم هذا الإيمان بقوميتهم على تكوين دولة موحدة بفعل القبضة الحديدية لبسمارك.

والمثال الآخر هو ايطاليا التي استهدفت توحيد البلاد التي يتكلم سكانها باللغة الايطالية تحت لواء دولة واحدة..وقس على ذلك البولونيين واستقلالهم، ثم اتحادهم إلى تم على

[54]الحصري ، ساطع ، ما هي القومية ، دار العلم للملايين ، بيروت ، (د ط) ، (د ت) ، ص 60

أساس اعتبار جميع الناطقين باللغة البولونية يمثلون أمة واحدة. وكذلك دول كل من اليونان، وبلغاريا ورومانيا وألبانيا، ويوغوسلافيا، والمجر، وتشيكوسلوفاكيا..والتي قامت كلها على أساس اللغة علما بأن كلا منها تمثل لغة خاصة بها حفظت لها شخصيتها القومية المتميزة عن شخصية الدولة الأجنبية التي كانت تستحوذ عليها اقتصاديا وسياسيا..ويمكن القول بأن انحلال كل من الإمبراطورية العثمانية والنمساوية قد تم – أو على الأقل – ساعد على إتمامه اختلاف لغات الشعوب التي كانت تابعة لهما.

ولكن هنا يتبادر إلى الأذهان سؤال يقول:

إذا كانت اللغة أساس القومية كما تذهب النظرية الألمانية فلماذا لم تعمل هذا العمل بكيفية تلقائية قبل أن يظهر الحث على الاتحاد القومي من طرف هؤلاء الدعاة والفلاسفة الألمان وغيرهم ؟

والجواب على ذلك يتمثل في العبارة التي أوردناها في مستهل هذا المبحث بقولنا:"...ولكنه (أي الشعور القومي) يبقى دائما متأججا في أعماق الأفراد كالنار تحت الرماد لا تلبث أن تشتعل لمجرد أن تذرو الرياح القومية لك الرماد" ونحن نعلم أن فكرة القومية ذاتها ظهرت كفكرة إنسانية ناضجة في القرن الماضي فقط...ومع لك فيمكن القول بأن دور اللغة في الحياة العامة والحياة السياسية يزداد قوة وشمولا مع تقدم الحضارة وتعقد الحياة الاجتماعية، وانتصار الديمقراطية وسيادة الشعب، ففي عهد ما قبل حضارتنا العصرية،كان دور اللغة في الحياة العامة والسياسية محدودا إلى حد بعيد لأن أداة الحكم في لك العهد غالبا ما كانت السوط ولغة السوط – كما هو معلوم – من أفص اللغات التي يفهمها الناس، من غير دراسة قواعد النحو والصرف.

كما أن في عهد بساطة الحياة الاجتماعية والسياسية كانت دواعي الاتصال بين الأفراد وبين الحكام محدودة ولم يكن اختلاف لغة الحكام عن لغة المحكومين حينئذ يولد مشاكل كبيرة، غير أن الأمر الآن قد تغير مع تعقد الحياة الاجتماعية واتساع نطاق الدولة وتعدد مؤسساتها، حيث زادت وتوسعت دواعي الاتصال تبعا لذلك، وعندئذ بدأت تظهر المشاكل على أشدها في البلاد التي يقطنها أقوام ينطقون بلغات مختلفة، وفي الدول التي تحكم شعوبا مختلفة اللغات.

فالشعب رغم احتلال أرضه من طرف غاصب أجنبي، يبقى محتفظا بكيانه الخاص متميزا بمقومات شخصيته القومية عن شخصية شعب الدولة التي استولت على بلاده، انه يظل في حالة حرمان من الاستقلال السياسي والاقتصادي.. ولكن يبقى في قرارة نفسه شاعرا بشخصيته وكيانه القومي طالما بقى محافظا على لغته.

ذلك أن أي شعب من الشعوب لا يفقد حياته وكيانه تحت أي تأثير خارجي إلا عندما يفقد لغته ويصبح من الناطقين بلغة حاكمه..فعندئذ فقط يموت الشعب ويذوب في بوتقة الغير ليصبح جزءا من أمة أخرى.

ويجب التأكد على أنه لا يمكن لشعب أن يندمج في شعب آخر إلا اذا وجدت لغة (الأم) مشتركة تصهرهم في بوتقة واحدة..كما أن الدول التي تفرض على الشعوب قد تتبدل وتزول دفعة واحدة، نتيجة حرب أو انقلاب أحمر، أو أبيض، ولكن اللغة التي تفرض على الشعوب لمدة طويلة لا يمكن أن تزول أثارها السلبية مع الدولة التي فرضتها إلا بعد حين، اذا توفرت الإرادة القوية ونضج الوعي القومي..ونفس المثال ينطبق على الدولة التي تحكم شعبا من الشعوب، فإنها قد تتمكن من السيطرة السياسية والاقتصادية عليه بمجرد أن تقضي على المقاومة العسكرية، ولكنها لا تستطيع أن تقضي على اللغة التي يتحدثها هذا الشعب إلا بإرادة منه، وإلا فستبقى موجودة على أي صورة من الصور، وينشأ تفاعل وتنازع بين لغة الحاكم ولغة المحكوم، ويستمر هذا الصراع مدة تقصر أو تطول، بحسب قوة كلا اللغتين، وغزارة تراثها الثقافي والحضاري، وقد ينتهي الصراع إلى غلبة إحدى اللغتين، أو إلى تكوين لغة جديدة، مزيج من اللغتين المذكورتين بنسب متفاوتة، وتتمثل هذه الحالة – في أوضح صورها – في اللهجة العامية الجزائرية في لمناطق الحضرية، حيث وقع الصراع الطويل والاحتكاك المستمر بين اللغة الدخيلة واللغة الأصلية..وعلى كل حال، فاللغة الدخيلة تنتشر بصورة تدريجية وبسرعة متفاوتة.

فهي تنتشر في مراكز الحكومة الرئيسية قبل مراكزها الثانوية، وفي المدن قبل القرى، وفي المناطق التجارية قبل المناطق الزراعية، وفي كل واحدة من هذه البيئات: بين موظفي الحكومة قبل سائر الناس، وبين المتعلمين قبل الأميين، وباختصار فهي تنطلق من المؤسسات الرسمية إلى الشوارع ثم إلى البيوت.

وتعيش اللغة الدخيلة في بادئ الأمر جنبا إلى جنب مع اللغة الأصلية ولكنها تأخذ شيئا فشيئا- مع استمرار الصراع الذي يسندها فيه الحكم- في التغلب على اللغة الأصلية، إلى أن تقصيها من ميدان الاستعمال تدريجيا، بالكيفية الترتيبية التي ذكرناها أنفا..

وقد تنحسر اللغة الأصلية (القومية) بذلك من جميع ميادين الكتابة، وتصبح لغة مشافهة فقط، ولكنهاـ حتى في تلك الحالة شبه الميتةـ تحفظ للأمة حياتها وتضمن لها الانبعاث والنهوض من جديد اذا شحدت همم أبنائها،وصدقت نواياهم، وصحت عزائمهم.

وهكذا نجد تاريخ القوميات متداخلا، مع تاريخ اللغات، ولذلك نرى السياسيين في الوقت الحاضر يبذلون كل ما في وسعهم لضمان وحدة اللغة في البلدان التي يحكمونها..وتبدو علاقة اللغة بالقومية أيضا في حالة استقلال جزء من الشعب الناطق بلغة واحدة عن الدولة

الأجنبية التي سيطرت عليه، ويبقى جزء منه أو أجزاء تحت سيطرة دولة أو دول أخرى (مثلما كانت حالة الصومال مع ايطاليا، وانجلترا وفرنسا، وما تزال مع إثيوبيا) فإن الجزء المستقل يصبو تلقائيا إلى تحرير الجزء المحتل ويقدم في سبيل ذلك التضحيات العظام، كما ينزع الجزء المحكوم من الدولة الأجنبية إلى التخلص من السيطرة الأجنبية والانضمام إلى الجزء المستقل، لذلك ينزع الغزاة دوما إلى عملية تحويل أساسي للغات السائدة في البلاد التي يحتلونها، ونتيجة لهذه العملية نجد حدود اللغات كثيرا ما تنتشر بفعل بعض العوامل.

ففي هذا المعنى يقول جرجي زيدان: " اللغات المختلفة في مملكة واحدة إنما هي حواجز منيعة ضد الاحتكاك الفعلي، وتدفق الأفكار، والعادات من عنصر إلى عنصر، فهي مانعة من الالتئام، في وحدة قومية واحدة، يمكنك أن تجمع جماعات تحت راية حكم واحد، ولكنك لا تقدر أن تجمعها في قومية واحدة، اذا كانت متعددة اللغات ما لم تعمم فيها لغة واحدة..

إن تعميم اللغة ضروري لتغليب القومية على العنصرية، لك كان سبب مصاب تركيا في عجزها عن توحيد عناصرها في قومية واحدة. أن ما بين التركي والعربي، واليوناني والارميني والسلافي،من التباين بقدر ما بين لغاتهم منه، فكيف يمكن إنشاء قومية عثمانية؟ إن هذا التباين قديم جدا، والتقاليد بين هذه العناصر متباينة جدا، فهيهات اتحادها في قومية واحدة بل يستحيل ما دامت حواجز اللغات المنيعة تغرق بينها".

واستنادا غلى هذه الحقيقة نستنتج أن الحكم المشترك ـ مهما طال ـ كما كان الحال في الجزائر مع تركيا، وفرنسا، وكما هو الحال في الاتحاد السوفيتي وبلدان أخرى كثيرة من العالم، فانه لا يؤدي إلى تكوين القومية الواحدة من أشتات من الشعوب إلا إذا تمكن من التأثير في لغتها وصهر الجميع في بوتقة لغوية واحدة، وبقدر نجاح الحكم المشترك في هذه العملية يقاس نجاحه في تكوين أمة واحدة من الشعوب التي يحكمها.

وعن اللغة العربية والشخصية القومية لا نجد ما تستشهد به خيرا مما قاله أحد أئمة اللغة والقومية العربية ، وهو الأستاذ محمود تيمور: " فإذا كانت الإمبراطورية العربية قد أسدل ستارها على مسرح السياسة فهي قائمة في مظهر لغوي يربط بين من ضمنت من الشعوب، ونحن نعمل بواعيتنا الظاهرة والخافية على استبقاء رباطنا الإمبراطوري في صورة اللغة العربية، وكأننا بهذا الرباط نعمل على أحياء إمبراطوريتنا الزائلة، على نحو يلائم ملابساتنا الحاضرة، فإيماننا بالفصحى مستمد من إيماننا بتلك الإمبراطورية التي تتجمع فيها أمجادنا التليدة، وإننا بذلك الإيمان نستمسك بمقومات شخصيتنا العزيزة علينا وعلى تاريخ الإنسانية جميعا، وفي هذا الاستمساك تلتقي مشاعرنا الطبيعية، لحماية أنفسنا من معترك تنازع البقاء".

- لقد رأينا في أهم النظريات القومية أن عنصر اللغة يكون القاسم المشترك الأعظم في تكوين الأمة سواء أقر المنظرون بذلك صراحة مثل الروس والألمان أو حاولوا إخفاءه مثل الفرنسيين واليهود، مع اعترافهم الضمني بضرورة وجوده، والعمل على إيجاده بشتى الوسائل..والمنظرون العرب سواء كانوا كم هؤلاء أو أولئك لا يملكون إلا الاعتراف بوجود لغة عربية مشتركة تجمع أفراد المجتمع العربي على امتداد رقعة الوطن من المحيط إلى الخليج..

فاللغة إذن من أهم المقومات القومية على الإطلاق، وان كانت هذه المقومات ـ كما مر بنا ـ ليست مواصفات أو قوالب محدودة بحيث تطبع على هذا المجتمع فيصبح قوميا أو يغيب بعضها عنه فتنعدم لديه صفة القومية، بل أن هذه المقومات عناصر حية تتفاعل مع المجتمعات حسب طبيعتها وظروفها وتاريخها، ومن ثمة تختلف من مجتمع لآخر تبعا لاحتياجاته الناجمة عن هذه الطبيعة، أو الظروف أو هذا التاريخ..

إلا أن المحك الحقيقي لعنصر لفعالية عنصر من عناصر القومية لدى المجتمع سواء كان متمثلا في اللغة أو الدين أو المشيئة أو المصلحة الاقتصادية، يتمثل في مدى قدرته على الربط بين أفراد المجتمع، ومدى صموده كقوة رابطة أمام الهزات العنيفة التي تعصف المجتمع، وتعرضه للتحلل أو الذوبان في مجتمع آخر أقوى منه ثقافة أو عددا.. خاصة وأن المجتمعات القومية في الوقت الحاضر تتعرض لتيارات متعددة لا تنفك تستهدف إذابتها بشتى الطرق، ولعل العالم العربي أشد تعرضا في عصرنا الحاضر لهذه الهجمات التذويبية ماديا وثقافيا، مما يلزمه قوميا بالتمسك الشديد، بكل عوامل الربط بين أفراده، وتأتي اللغة العربية في مقدمة هذه العوامل بدون منازع، ويكفي أن نعلم مدى قيمة اللغة المشتركة التي تربط بين أفراد المجتمع الواحد، أن ننظر إلى المجتمعات القومية المكونة حديثا، والتي لا تتوفر لديها لغة مشتركة توحد أفكار ومشاعر وثقافة أفرادها، إنها تلجأ إلى تبني لغة حية من الخارج للعمل على الربط بين أفرادها في المستوى الرسمي على الأقل، ريثما تحي لغتها، إذا كانت ميتة، أو توحيد لغات طوائف مجتمعها إذا كانت لغاتهم متعددة. والأمثلة على ذلك كثيرة بين عدد من القوميات المستجدة في إفريقيا، حيث تلجأ تلك الدول إلى استعمال الفرنسية أو الإنجليزية، مؤقتا حتى تمسك بيد لغاتها الوطنية، لتحل محل اللغة الأجنبية في مختلف المجالات تدريجيا، كما حدث في الهند أيضا، حيث اعتمدت اللغة الإنجليزية عند غياب وجود لغة مشتركة واحدة للمجتمع القومي الهندي، وتعكف الدولة على إحياء إحدى اللغات الهندية ذات الانتشار الواسع لتتخذ منها في المستقبل لغة مشتركة للمجتمع القومي الهندي، ونفس المثال نجده في باكستان التي تتبنى اللغة الإنجليزية مؤقتا وتسعى لجعل اللغة العربية هي اللغة الرسمية لدى أفراد المجتمع الباكستاني القومي الذي يميل ميلا شديدا إلى اللغة العربية (لارتباطها بعقيدته الدينية) واتخاذها لغة مشتركة له دون أن يشعر في ذلك بما يمس كرامته القومية أو قدسيته أو قيمه

الاجتماعية أو الروحية. بل وجد في اللغة العربية ما يحقق هذه الرغبات على عكس لغاته المحلية المتعددة..

وهذا بالضبط شأن اللغة العربية في المجتمع العربي

فقد أثبتت هذه اللغة جدارتها في أن تكون نقطة الاتفاق بين جميع العرب منذ أن تبنوها لسانا قوميا لهم من مطلع التاريخ الهجري، وأصبحت لغة مشتركة أبناء المنطقة التي ينتشر فيها أفراد المجتمع القومي العربي، في الوقت الحاضر، وفي هذا الصدد نجد التاريخ يثبت لنا عدة حقائق لا يجادل فيها الجاحدون المغرضون:

الحقيقة الأولى:

هي صمود هذه اللغة أمام كل الهزات التي مرت بها، بما في ذلك ظروف الانحدار السياسي والاجتماعي للعالم العربي التي وصلت أحيانا إلى درجة سيئة للغاية تتمثل في تفكك الكيانات السياسية للأقطار العربية وبصفة خاصة منذ أن وضع الاستعمار الغربي أقدامه على الأرض العربية حيث حارب هذه اللغة بحقد صليبي دفين، قلما حوربت بمثله في العالم. وقد فصلنا القول في ذلك سابقا عند الحديث عن محاربة المستعمر الفرنسي للغة العربية في الجزائر ...

وفي هذا المعنى جاء على لسان جرج الكافوري تعليقا على ما قاله (ارنست رنان ERNEST RENAN) بأن اللغات السامية خلدت في التاريخ بما خلفته للعالم من أديان كاليهودية والنصرانية والإسلام، حيث ما تزال لغات هذه الأديان تحيا كلغات كتب مقدسة يقول جورج الكافوري تعليقا على ذلك:"...وهذا القول مع ما في ظاهره في الإقرار بفضل الكتاب الذي حفظ اللغة العربية وصانها من التفكك والتحول إلى لغات متعددة يصعب التفاهم بين أصحابها،كما أصاب اللغة اللاتينية بعد ذهاب دولة الرومان..يشجينا أن يكون فيه تلميح إلى أن العربية تنحصر مزيتها في هذا، وإنها إنما تحيا بالدين وللدين، مع أنه قد سبق لها أن عبرت بأدوار برهنت فيها على أنها تلك اللغة الغزيرة المادة الرحبة الأكناف التي تصلح لأن تكون لغة الدين والدنيا معا".

ويمضي في مكان آخر قائلا:"...على أ اللغة ترتقي بارتقاء أهلها وتنحط بانحطاطهم كما سبق القول..وما بلغت اللغة العربية من الوطن الغاية التي بلغتها إلا أن الأمة العربية كانت أبان قوتها ومعظم نهضتها. ولا يخفى أن رقي الأمة السياسي يستتبع رقيها العلمي والاقتصادي فتجيء نهضة اللغة تابعة للنهضة السياسية والمدنية معبرة عنها، إذ يجتمع للغة حينئذ عاملان من أقوى العوامل التي تعمل على ترقيتها وإحيائها، عضد الدولة لها، وحاجة الرعية إليها..وقد بلغ إقبال الأوروبيين على تعلم اللغة العربية في عز نهضة العرب إلى أن خشى أهل البلاد أن تتغلب على لغتهم، وتحل محلها كما يدل على ذلك ما

كتبه أسقف قرطبة إلى بعضهم شاكيا، قال ما محصله:"..إن اللغة العربية قد فتنتنا بعذوبة ألفاظها، وبلاغة إنشائها حتى لا نكاد نجد فينا من وكلما قرأوا كتبها ودرسوا آدابها، ازدادوا إعجابا بها فإذا حدثتهم عن كتاب من الكتب اللاتينية سخروا منه وقالوا: **أن الفائدة منه لا تساوي التعب في قراءته وهكذا نسي المسيحيون لغتهم وجهلوا كتابتها وبلاغتها، وحذقوا اللسان العربي، حتى ليكتبونه نثرا ونظما، بأسلوب أنيق، يفوقون فيه العرب أحيانا".**

ولا نملك ما نعلق به على هذه الحقيقة غير القول أن التاريخ يعيد نفسه مع العرب الآن في تشبث بعضهم باللغة الأجنبية واحتقار اللغة العربية، إما عن جهل لها وإما عن غلبة الحضارة الغربية التي أنتجت تلك اللغة أو للسببين معا.

الحقيقة الثانية:

هي أن اللغة العربية اقترنت دائما بالوعي القومي العربي في كل أدواره التاريخية، ولقد أثبت الواقع التاريخي أنها كانت الدرع الصلبة التي يحتمي بها الوعي القومي، في المجتمع العربي، كلما واجهته ظروف تهدد كيانه، ويكفي مثالا على ذلك أن نعلم مدى تشبث المجتمع العربي في الجزائر باللغة العربية خلال عهد الاحتلال الفرنسي، كأحد مقومات الشخصية القومية للمجتمع الجزائري تجاه الغزو الثقافي، وعمليات الاستئصال للشخصية القومية الجزائرية التي كان يمارسها الاستعمار الفرنسي طيلة وجوده في البلاد.

ونجد أمثلة كثيرة لذلك في التاريخ العربي القديم والحديث، وأبرزها ردود الفعل لدى العرب إزاء الشعوبيين الذين كانوا يوجهون الضربات تلو الأخرى للكيان العربي، ولمتمثلة بصفة خاصة في إظهار المزيد من العناية والاعتزاز باللغة العربية، وهكذا نجد كاتبا كالتوحيدي يمجد اللغة العربية في صورة قد توصف بالتحيز من فرط اعتزازه بها وهو في الحقيقة أمر مشروع لدى كل الأمم التي تحترم شخصيتها، وتعتز بمقومات هذه الشخصية، وتعمل بالتالي على المحافظة عليها والدفاع عنها.. يقول التوحيدي في ساق هذا الشعور القومي العربي الفياض مقارنا اللغة العربية بغيرها من اللغات في لك الوقت : ".. فما وجدنا في هذه اللغات نصوع العربية، أعني الفرج في كلماتها والنقاء الذي نجده بين حروفها، والمسافة بين مخارجها، والمعادلة التي تذوقها في أمثلتها، والمساواة التي لا تجحد في أبنيتها.." ويستمر التوحيدي في ربطه بين اللغة العربية والكيان القومي العربي مع المقارنة باللغات الأخرى فيقول: " سعة هذه اللغة في أسمائها، وأفعالها، وحروفها،

وجولاتها في اشتقاقها، ومأخوذاتها البديعية، في استعاراتها، وغرائب تصريفها في انتصاراتها، ولفظ كنايتها..".

الحقيقة الثالثة:

هي أن اللغة العربية تجعل من جميع أفراد الأمة العربية جماعة لغوية واحدة، والجماعة اللغوية هي عبارة يطلقها علماء اللغة على وحدات اجتماعية تستعمل لغة واحدة بقطع النظر عن حجم هذه الوحدات أو التكتلات الإقليمية أو السياسية أو القانونية التي تحددها.. فلدينا على سبيل المثال ما يمكن أن نطلق عليه تجاوزا اسم (الأمة) الجزائرية، أو (الأمة) الليبية، أو(الأمة) العراقية أو (الأمة) المصرية..من الناحية السياسية والإقليمية ولكن توجد أمة تجمع كل هذه الأمم السياسية في كيان واحد هي الأمة العربية، التي تمتد مع امتداد الجماعة اللغوية العربية. فعلماء اللغة لا يهتمون بالتقسيمات السياسية الموضوعة، ولا بالخواص اللغوية الفرعية التي قد تتميز بها لهجة كل قطر أو اقليم، أو شكل سياسي، أو قومية فرعية (كما يمكن أن يسميها البعض) وإنما الفيصل الأول لعلماء اللغة في تحديد الجماعة اللغوية هو وحده اللغة الفصحى التي تسمو فوق اللهجات المحلية، والتي كونت الجامعة العربية الاجتماعية والثقافية منذ القدم، قبل الجامعة العربية(السياسية) التي تكونت في العصر الحاضر كانعكاس طبيعي للجامعة اللغوية.. تلك الجامعة التي ربطت بين أفراد الجماعة اللغوية العربية، برباط متين جعل من معارف كل الأقطار العربية الشاسعة الأرجاء، والمختلفة الأنشطة السياسية والقوانين الوضعية.. تراثا واحدا ذا طابع وحد تتماسك حلقاته وتتكامل مدارسه، وينتقل علماؤه كيفما شاؤوا، من قطر إلى قطر، في أرجاء هذا الوطن الكبير.. وطن الجماعة اللغوية العربية، فيتجادل هؤلاء العلماء، ويحاضرون ويدرسون ويتولون مختلف مناصب الإفتاء، والتدريس، والأعلام دون أي عاق يمنعهم، غير قوانين المواطنة والجنسية، التي يعرفها عصرنا الحاضر..وقديما تولى علماء كثيرون من المغرب العربي مناصب علمية وقضائية، في المشرق العربي كابن خلدون، وابن العنابي اللذين توليا مناصب قضائية في مصر، وكثير من علماء المغرب كانوا أساتذة بارزين في الأزهر الشريف كالشيخ أرزقي الشرفاوي، والشيخ مولود الحافظي، والشيخ الأخضر حسين الجزائري، أو في سوريا مثل الشيخ مبارك الجزائري والشيخ طاهر الجزائري،...وفي العصر الحاضر يتولى الكثير من علماء المشرق العربي مناصب التدريس والتربية في بلدان المغرب العربي، وما يقال عن العلماء والدارسين في حركتهم داخل الجماعة اللغوية العربية يصدق على الأدباء، والفنانين والسياح، والتجار وغيرهم.. فكل قطر من الأقطار العربية بلد كل عربي في الواقع رغم كل الاعتبارات

السياسية التي قد تفصل الأجساد، ولكن هيهات أن تفصل الأفكار والثقافة المشتركة طالما بقيت اللغة العربية، هي لغة الجماعة اللغوية العربية في الوطن العربي.

الحقيقة الرابعة:

هي أن اللغة العربية هي اللغة المشتركة بين جميع العرب على اختلاف لهجاتهم، أو لغاتهم المحلية، ويمكن تعريف اللغة المشتركة لأية جماعة بشرية بأنها هي اللغة التي تخلصت من كل الخصائص اللغوية التي تنسب إلى منطقة خاصة، هذه الخصائص التي تعيق التفاهم بين الفرد وسواه، ممن لا ينتمون إلى نفس الجماعة اللغوية التي ينتمي هو إليها.. وبمعنى آخر: اللغة المشتركة هي التي لا يعرف سامعها أو قارئها المنطقة الأصلية التي ينتمي إليها المتكلم بها.. ومثال ذلك أننا لو قرأنا لكاتب بالعامية، أو استمعنا إلى شخص يتكلم باللهجة العامية الجزائرية، أو المغربية أو الليبية..فإننا نعرف على الفور، إلى أي قطر من الأقطار العربية، ينتمي هذا المتحدث، ولكن لو كتب أو تحدث باللغة العربية الفصحى بقواعدها النحوية والصرفية السليمة فإنه يستحيل معرفة المنطقة التي ينتمي إليها الفرد المتحدث أو الكاتب، ومثال ذلك شعراء الملحون وشعراء الفصحى العرب. ففي الوقت الذي نميز شعراء الملحون بمجرد القراءة أو السماع، لا يمكن أن نحدد المنطقة التي ينتمي إليها أي شاعر من شعراء الفصحى، إذا تقيد في الكتابة، أو القراءة، بقواعد العربية، في الوقت الذي نستطيع أن نميز الأسلوب الشخصي للكاتب، أو الشاعر، فنقول: هذا أسلوب المنفلوطي، أو جبران، أو شوقي، أو خليل مطران، أو محمد العيد، أو الإبراهيمي، أو محمد فريد،أو...

وهكذا تتضح قيمة اللغة المشتركة لدى الكتاب بصفة خاصة وذلك لأن القارئ ليس مجردا أمام الكاتب وجود السامع أمام المتكلم، ولهذا لو استطاع المتكلم أن يعدل من نطقه، لبعض الحروف، بما يلائم سامعه(كحرف الجيم والظاء، والذال في بلدان المشرق العربي...) فانه لا يمكن للكاتب أن يغفل ذلك فيما يخطه من نثر أو شعر.

الحقيقة الخامسة:

هي أن اللغة العربية هي لغة الأدب الرفيع على امتداد رقعة المتحدثين بالعربية، حتى أننا لا نجد في الكتب (غير المغرضة) شيئا اسمه الأدب الجزائري، أو الأدب الليبي، أو الأدب المصري، وإنما نجد بدلا من ذلك اسم الأدب العربي في الجزائر، أو في ليبيا، أو في المغرب، أو في مصر، في ين نجد في المقابل: الأدب الانجليزي، أو الألماني، أو الفرنسي، أو الروسي، كأدب متميز بخصائص اللغة، التي يتحدثها الشعب الانجليزي، أو الألماني، أو الفرنسي، أو الروسي،... وذلك لأن الأدب العربي تعاون على إنتاجه كل الأدباء العرب بقطع النظر، عن الأقطار التي ينتمون إليها بجنسياتهم السياسية.. ومن ثمة

لم يكن الأدب العربي الذي هو نتاج لكل العرب، غريبا على أي موطن من مواطن الجماعة اللغوية العربية.

- وفي ختام حديثنا عن اللغة العربية التي نعتبرها العمود الفقري للقومية العربية لما لها من ارتباط بالأسس الأخرى للقومية العربية..

نتذكر ما قاله أحد كتاب القومية العربية في وحدة اللغة: " إن هذا التأثير القومي للغة في إيجاد الأمة المترابطة ناشئ علميا من أنها أداة لعدوى الأفكار، وعدوى الشعور، فالمجتمع الذي تسيطر عليه لغة واحدة كالمجتمع العربي، لابد أن تطبعه بطابعها وتصهر أفراده جميعا في بوتقة ثقافتها من حيث أن اللغة أفكار وأحاسيس في ألفاظ نقرأها أو نسمعها، فنشعر بانجذاب إليها، كما هي تاريخ الأفكار والانفعالات التي مست أجدادنا بتياراتها من قبل ثم اتصلت بنا ".

ويبقى من البديهي القول أن أي أمة تتهاون بلغتها الخاصة فتحتقرها، وتصطلح لغة غيرها من الأمم، في حياتها العامة والخاصة، تفقد الحياة كأمة، وتذوب حتما في كيان الأمة التي اقتبست لغتها، لأن الأمم اللغات ما بقيت فان هم ذهبت لغاتهم ذابوا، على حد قول(أمير الشعراء) أحمد شوقي عن الأخلاق(.....) مع العلم أن للشاعر الأمير، أراء فاصلة في اللغة والقومية، عبر عنها بأبلغ البيان، في قصائده الرائعة، ومن ذلك قوله:

نصت ونحن مختلفون دار ولكن كلنا في الهم شرق

ويجمعنا اذا اختلفت بلاد بيان غير مختلف ونطق

وقوله عن الوجدان العربي المشترك الذي تكون نتيجة اللغة الواحدة، التي تجمع أفراد المجتمع العربي كأعضاء الجسد الواحد، الذي اذا اشتكى منه عضو انتشر الألم في سائر الأعضاء.. وقد قال هذه القصيدة سنة 1927 لتحية مبايعته بامارة الشعر العربي، معبرا عن اللغة العربية بعكاظ:

يا عاكـــــــظ تألف الشرق فيه من فلســــــطينه إلى بغداد

رب جار تلفتت مصـــــر إليه سؤال كريـــــــــم عن جيران

بعتـــني معزيا بمـــــــآقي وطني أو مهنئـــــا بلســـانه

قد قضى إليه أن يؤلفـا الجرح وأن نلتقـــــي على أشجـانه

كلمــا أن بالعراق جريـــح لمس الشرق جنبـــه في عمانه

تلك هي الأمة العربية وتلك هي اللغة التي تكون أقوى الدعائم الأساسية، لهذه الأمة، وكما لا تبقى الأمم إلا بلغاتها فلا تبقى اللغة وتزدهر إلا بإرادة وحضارة الناطقين.

2- في كتاب الهُوية الوطنية الحقائق والمغالطات :[55]*

أكد الكاتب أحمد بن نعمان رفضه التام للتعدد اللغوي الرسمي في الجزائر ، لأنه حسب رأيه يؤدي حتما إلى القضاء على الوحدة الوطنية وهوية البلد ، في قوله:

" التعدد الغوي (الرسمي) يؤدي حتما إلى ما يقبل التعدد – في نفس الزمان والمكان – على الإطلاق ألا وهو الهُوية ، لأن الإنسان الجزائري أو أي مواطن عربي في أي قطر من المحيط إلى الخليج لا يمكن أن يكون عربيا وغير عربيا في نفس الوقت " . أي أن تبقى الجزائر مسلمة عربية أو تكون فرنسية متوسطية كما يريد الاستعمار ، وذلك للقضاء على وحدة الشعب والكيان والدولة، ومحو هوية البلد كما ذكر الكاتب " بأن اللغة الوطنية مثل العلم الوطني يمكن أن تغير ولكن لا يمكن أن تتعدد مع الفارق أن تتغير ألوان العلم ليس له أي انعكاس خطير لا على الهُوية ولا على الجنسية ، تحمل عادة اسم اللغة فنقول : (عربي نسبة إلى اللغة العربية ، وفرنسي نسبة إلى اللغة الفرنسية ، وألماني نسبة إلى اللغة الألمانية ، وروسي نسبة إلى الروسية ، وإسباني نسبة إلى الاسبانية ، وياباني نسبة إلى اليابانية ، وصيني نسبة إلى الصينية ، وإيطالي نسبة إلى الإيطالية ، وهكذا بالنسبة إلى أهم الجنسيات والأمم المعتبرة في العالم ...) ، وتتأثر معه الهُوية ويتحول الانتماء أو يتذبذب ويتصدع أو تنفجر الوحدة الوطنية لأي دولة على الطريقة اليوغسلافية والسوفيتية ، آجلا أم عاجلا !!!"

ومنه نلاحظ أن اللغة من أهم محددات الهُوية الوطنية ، حيث أن الكاتب ساواها بالعلم الوطني ، إذ لا يمكن أن تتعدد ، وإن تعددت فذلك يشكل خطرا على الهُوية والجنسية ، فهما عادة يحملان اسم اللغة ، وإذا تعددت اللغة أو تغيرت أسقطت الهُوية والوحدة الوطنية لأي دولة ، وأصبحت ذات هوية متصدعة .

وذكر أحمد بن نعمان أيضا أن اللغة الوطنية الرسمية لا تتناقض في أي بلد في العالم مع وجود عدة لهجات ولغات جهوية أو محلية (مكتوبة أو منطوقة) حيث تكون اللغة الوطنية هي الأساس اللغات المحلية ، واللهجات الأخرى هي الفروع ، في حين أن الفصحى لا تتعارض مع اللغات المحلية واللهجات الموجودة في الوطن.

كما أصر الكاتب على أن الدولة طالما لم تتحرر وتستقل ثقافيا وخاصة لغويا من مستعمرها ، يكون استقلالها فقط استقلال الجنسية دون الهُوية ، وأعطى في ذلك مثال الجزائر " فالجزائر – مثلا – أثناء الاحتلال المباشر إلى الأمة العربية الإسلامية ، ومن

[55]* ينظر ،بن نعمان ، أحمد ، الهُوية الوطنية الحقائق والمغالطات ، مرجع سبق ذكره ، ص ص 6-88

ثم ظلت ممسكة بحجة المطالبة بالاستقلال السياسي (أي استقلال الجنسية) ولو فرضنا أن فرنسا قضت على الإسلام والعربية في الجزائر قضاءا مبرما ، وسوت سكان الجزائر وسكان فرنسا في الأنماط الثقافية العامة ، لما كان لأحد الحق أو حتى التفكير في المطالبة في الاستقلال عن فرنسا (الأم)!" .

نستنتج أن سبب بقاء الجزائريين متمسكين في الاستقلال عن فرنسا هو عدم تخليهم عن عروبتهم وإسلامهم، وتمسكهم في عاداتهم و تقاليدهم و ثقافتهم و تمسكهم أيضا بلغة القران الكريم ، وهذا ما دفعهم للمحاربة لأجل الحفاظ على هويتهم و الوحدة الوطنية لبلدهم، بعد أن حاول المستعمر الفرنسي القضاء عليها، حيث قال بن نعمان " فإننا نجد أخطر م قام به المحتل الفرنسي طوال هذه المدة هو محاولة تذويب معالم الهُوية العربية الإسلامية بعد أن تم له ضم الجزائر إلى فرنسا في الخريطة المدرسية ". حيث رأت فرنسا أن أهم سلاح تقضي به على هوية الشعب الجزائري هو التعليم ، إذ قامت فرنسا بإنشاء جيل فرنسي الهُوية حسب اعتقدها وتصورها إلا أن الشعب الجزائري حارب ذلك.

" والعبرة المستخلصة من هذا الموقف و علاقتها بالهُوية هي أننا لو تصورنا أن الاحتلال تمكن من تسوية سكان الجزائر وقسنطينة و وهران و سكان مرسيليا و تولوز وبودرو ...في الجنسية والشخصية معا فإنه يمكن أن يطمئن – وإلى الأبد – بأنه لن يأتي يوما يطالبه فيه أحد أن يخرج من الديار ، لأن أهل الديار أصبحوا عائلة واحدة في العقيدة واللسان ، مثل بقية أبناء فرنسا في فرنسا ، ومثلما لا يتصور أحد اليوم أو غدا أن يتظاهر سكان مرسيليا أو ليون للمطالبة بالاستقلال عن باريس ، مثلما يطالب اليوم سكان الكبك أو سكان الكورسيكا أو سكان بروطونيا ... بالاستقلال ، الأولى عن أوطاوا والثانية عن فرنسا ذاتها ، وذلك لسبب واحد هو الاختلاف في اللسان ، وبالتالي في الثقافة ، رغم أن الجميع يدينون بالمسيحية "

ومنه نلاحظ أن الشعب الجزائري طالب بالاستقلال من فرنسا رغم دفعه للثمن غالي بسبب تمسكه بجوهر التمييز الثقافي عن فرنسا عقيدة ولسان ، وشعوره بالانتماء إلى الأمة المحمدية (العربية الإسلامية) ، وليس المسيحية الفرنسية ، ول كان بعضها لا يجيد العربية لحرمانه منها من قبل المحتل الفرنسي .

قسم الكاتب الاستقلال إلى استقلال الجنسية والذي يكون بالأوراق وليس بالشعور أو العرق ، واستقلال الهُوية يكون في الشخصية الثقافية وخاصة مجال اللغة ، لذلك تحرص الدول المستعمرة دائما على احتلال هوية البلد المستعمرة ، ولا تتخلى عنه حتى ولو تخلت عن احتلال الجنسية لأن استقلال الشخصية لأي أمة كفيل باسترجاع استقلال الجنسية مهما طال الزمن ، كما حدث للجزائر إلا أنها بقيت متمسكة بهويتها ومستقلة في شخصيتها ، والأمر نفسه الذي حدث لألمانيا مع فرنسا أو الفيتنام مع فرنسا وأمريكا .

وفي هذا السياق قدم الكاتب نموذجا عن الجزائر ، فيقول: " وهذه القاعدة بالضبط تنطبق على الجزائر في الوقت الحاضر ، في المنظور الاستراتيجي الفرنسي بالتعاون مع بعض الأحزاب في الداخل من وراء الوقوف بإصدار ضد تطبيق قانون اللغة العربية الصادر في الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية في يناير 1991 ، ولقد تأكدت من وجود هذا التخطيط – إلى أن يثبت العكس- وأنا استمع إلى حوار أجرته الصحافة الفرنسية مع أحد أقطاب هذه الأحزاب ، حيث أضاف قائلا : " أنا – مثلا- لا أشعر إطلاقا هنا في فرنسا أنني غريب عن وطني " .

وأكد أن علاقة اللغة العربية بالثقافة هي الهُوية وأن اللذين يحاربون إلى اليوم بكل الوسائل من أجل ثوابت الهُوية الموحدة للشعب الجزائري ، ومنه نلاحظ أهمية العلاقة القائمة بين الثقافة والهُوية وارتباط الاثنين بالدين واللغة ، وأنه لا يوجد بحياة المجتمعات ألصق بالثقافة من الدين واللغة .

كما صرح بقوة الرابط بين اللغة والقومية من الدين بصفة عامة ومن الإسلام بصفة خاصة ، ذلك لأن الدين لجميع البشرية ، على حين أن لغات العالم متعددة ، وبالتالي فإن كل عربي مسلم وليس كل مسلم عربي .

فاللغة ليست مجرد وسيلة أو واسطة ، بل اللغة هي أحد أهم وسائل الفعل والفكر والوجود والحفاظ عن الهُوية وثقافة الوطن .

كما حث بن نعمان على إعطاء اللغة القومية عناية وأهمية بقوله : " من هنا يتوجب على ساسة الأمم ومربيها المنوط بكاهلهم ضمان الاستمرارية الحضارية للأمة ، وضمان مستقبل وحدتها الثقافية وانسجام أفرادها وتميز شخصيتهم القومية ... أن يولوا موضوع اللغة (القومية) عناية فائقة تدريسا وتقديسا ، وإثراءا وتطويرا بصفتها أكثر العناصر (الإنسانية) التصاقا بثقافة الأمة وبشعورها وبمميزاتها الشخصية الفردية والقومية " .

أي من واجب قادة الدول ومسؤوليها الحفاظ على الوحدة الثقافية ، وانسجام الوحدة أفراد الوطن الواحد، وأن يكون لهم ميزة تميزهم عن باقي الشعوب، ويهتموا باللغة الأصلية القومية من ناحية التعليم والاستعمال اليومي، وتطويرها لأن اللغة أكثر عنصر إنساني تتميز به شخصية الأمة وتلتصق به .

بين أحمد بن نعمان السبب الداعي لحرص الدول المتقدمة على نشر لغاتها ، والترغيب و الترهيب فيها البلدان الأخرى، وذلك بسبب إدراكها لخطورة اللغة و تأثيرها على الهُوية السياسية و الثقافية في الوطن ، وأعطى في ذلك مثال فيما هو قائم بين فرنسا و بريطانيا " و أبرز مثال على ذلك نلمسه فيما هو قائم بين فرنسا وبريطانيا في تنافس على نشر لغة

كل واحد منهما في بلدان العالم عموما والقارة الإفريقية (الخصبة) خصوصا، حتى أصبحت الدول الإفريقية مقسمة إلى دول ناطقة بالفرنسية ، ودول ناطقة بالانجليزية ".

قال كاتب آخر عن اللغة :"فأنا في قضية اللغة لا يختلف (شامفور) القاتل؟ أن اللغة هي الوطن، فلنكن مع الوطن " ، ونستنتج من هذه المقولة اللغة هي التي تحدد وطن الفرد و هويته و انتمائه .

دائما ما يصرح أحمد بن نعمان و يذكر بأهمية ومسؤولية الأمة وأفراد المجتمع تجاه اللغة و الثقافة ، لأن ثقافة الوطن ولغته هي التعبير وجدانه وهويته ، وأعطى الكاتب في ذلك مثال استقلال بلجيكا عن هولندة سنة 1830 ، و لم يكن لبلجيكا لغة وطنية مشتركة فبعضهم يتكلمون اللغة الفلاماندية ، والبعض الآخر يتحدثون اللغة الفرنسية كلغة مشتركة بين أفراد المجتمع البلجيكي محل اللغة الهولندية، إلا أن سكان المنطقة الفلاماندية قاوموا عملية الفرنسة ، مما جعل وحدتهم الوطنية مهددة بالانقسام ، وقاموا بالمطالبة بتعليم اللغة الفلاماندية في جميع المدارس ، و أن تنشر قوانين باللغة الفلاماندية " والنتيجة من كل هذا أصبحت بلجيكا بلدا مقسما إلى جزئين تفصلهما حدود لغوية ، فيهما الجرائد وتبث منهما الإذاعات ومحطات التلفزة ، بلغتين مختلفتين " .

أي أنه ما قامت به الدولة الفلاماندية جعلها تحافظ على لغتها و هويتها ، رغم أن النصف الآخر من بلجيكا كان يتحدث اللغة الفرنسية ، وان هذا الانقسام اللغوي أدى إلى عدم الوحدة اللغوية والوطنية .

كما استشهد عن ذلك بقوله : " و لعل آخر ما نستشهد به من أمثلة حية على النتائج الخطيرة في الصراع اللغوي على الوحدة الوطنية لهذا البلد ،هو مطالبة الفلاماند مؤخرا بجعل لغتهم رسمية التداول في مؤسسات الجيش الأوروبي ببروكسل ،على قدم المساواة مع اللغة الألمانية و الفرنسية (المعتمدتين أوروبيا في هذه المؤسسات)، وهو ما أذهل الجميع و جعل بعض الدول تفكر في تخيير بلجيكا بين سحب هذا الاقتراح ، أو الخروج من المجموعة الأوروبية " ، و ذلك أن الصراع يمثل خطر و يهدد الوحدة الأوروبية و تفكك وحدة هويتهم .

تكلم أحمد بن نعمان في الفصل السادس على نقطة مهمة جدا في مكانة اللغة من الهُوية وهي الازدواجية اللغوية ، و شبهها : " (من حيث هو حق أريد من باطل) بمفهوم الإرهاب الدولي" ، ودائما ما يسعى أي مستعمر لتحقيقه ، حتى ولو بعد استقلال الجنسية للبلاد المستعمرة ، وخاصة في مجال التعليم لأجل اشتمال لغته و بقاء وجود الاحتلال مستمر، وأكد أنه من أجل القضاء على الازدواجية في الدول العربية لابد من إتباع مبدأ التعريب للقضاء على وجود المستعمر ، و محو ثقافته و أفكاره .

كما أن الازدواجية اللغوية لها أنواع و قد ذكرها الكاتب في الفصل السادس من كتابه منها الازدواجية الفردية وهي " أن يكون الفرد المتعلم في المجتمع عارف للغتين الاثنين (اللغة الوطنية و اللغة الأجنبية الأولى)معرفة جيدة بحيث يستطيع استعمال كليتهما بنفس الدرجة و الكفاءة و هذا النوع من الازدواجية في اعتقادنا لا يضر بالتعريب بل يفيده" .

ونستنتج هنا عندما تكون اللغة الوطنية الرسمية متحصلة على الصدارة في الإدارة والحياة العامة و الاستعمال اليومي على اللغة الأجنبية ، و تكون اللغة الأجنبية استعمالها يقتصر فقط في الدراسة والمجال العلمي ، فبتالي هذه الازدواجية لن يكون فيها خطر على الوحدة الاجتماعية و السياسية للمجتمع عموما ، و مثال ذلك لبنان و مصر و سوريا و السودان ...

كما حذر من خطورة الازدواجية الفئوية في تفكيك و القضاء على الوحدة الوطنية، بحيث تكون هناك فئة تجيد اللغة الأجنبية مثل أهلها ، و تجهل لغتها الأصلية (القومية) يقابلها فئة أخرى لا تجيد اللغة الأجنبية ، مما يؤدي هذا الانقسام إلى عواقب خطيرة منها تفكك الوحدة الوطنية ، و إهمال هوية الأمة الأصلية.

وذكر في هذا مقولة لأحد العرب : "...و كيف نتمتع بشخصيتنا العربية ونفرض وجودنا كشعب إن لم نتحرر من عادة التعبير باللغة الأجنبية ، تلك اللغة التي هيمنت تفكيرنا عهدا طويلا ، و تعرقل طموحنا الطبيعي إلى البروز إلى العالم بابتكارات أصيلة و في حلتنا الخاصة بنا ... " .

لا يمكن لأي شعب أن يمتلك هوية خاصة به ، و شخصية تميزه طالما لم يفرض أفراده لغتهم ، و يتحرروا من اللغة الأجنبية ، و يعبرون عن طموحهم و أفكارهم بلغتهم الأصلية (الرسمية القومية).

ذكر الكاتب أن الجزائر مرت بمرحلة الانقسام حيث كان القطب الأول وطني عربي إسلامي ، والقطب الثاني وطني تغريبي لائكي ، وكان القطن الثاني يدعوا إلى تهميش وجهل اللغة العربية ، و هذا أهم شيء متعلق بالهُوية و الوحدة الوطنية عرفته الجزائر، كما افتعلت هذه أحزاب هذا القطب إضراب في التعليم في بعض مناطق الوطن ، ومنعهم من تعلم اللغة العربية بحجة المطالبة بالاعتراف باللغة الأمازيغية (البربرية) كلغة رسمية ، و إرادتهم لبقاء مكانة اللغة الفرنسية في التعليم ، والهدف من هذا التمهيد إلى إيجاد صيغة جديدة (في المناخ السياسي الراهن) لإصدار قانون التعدد اللغوي (كحل للهوية الوطنية على الطريقة البوسنية) ، وهو القانون التعددي المنتظر الذي أن أصدر فسيتم بموجبه -عمليا- التأبيد الرسمي للغة الفرنسية (قانونا) بما يستتبعه قطعا من محاولة تعديل المادة الثالثة من الدستور الحالي ، و سيتم بذلك أكبر كسب استراتيجي رسمي للغة

الفرنسية في الجزائر منذ (1830) ، و هو في الوقت ذاته أبشع انتقام فرنسي من بيان أول نوفمبر (1954) الذي كان حجة واضعية فيما يتعلق بالتعدد اللغوي ، مرتكزة على مبدأ أن اللغة هي أساس الهُوية و الجنسية معا ، وأن الإنسان لا يمكن أن يكون جزائريا عربيا ، وجزائريا فرنسيا في نفس الوقت ، و هو نفس اللغم الذي تفادى الوقوع فيه بعد ذلك قادة الثورة في مفاوضات ايفيان (1962) عندما رفضوا المطالب الملحة من فرنسا ، بتبني مبدأ الازدواج اللغوي الرسمي (عربي فرنسي) في الجزائر المستقلة ، وتبني مبدأ ازدواج الهُوية للجزائريين (فرنسيين وعرب) ، على غرار الوضع القبرصي الحالي ،أو البلجيكي ، أو الكندي ... ، ورغم الإصرار الفرنسي على هذا التلغيم المباشر للاستقلال في مهده ، إلا أن الوعي الوطني المخلص للمعارض الجزائري –آنذاك- كان هو السيد المنتصر تحت العلم الفرنسي و مدافعه ، وحسم الأمر لصالح السيادة و الوحدة الوطنية للشعب الجزائري ، ورغم الأعداء .

"و وقعوا الاتفاقية الذي يقضي بأن لا يوجد في الجزائر المستقلة سواء شعب واحد (عربي مسلم) ، ولغته واحدة وطنية رسمية ، وهي اللغة العربية " ، ومنه نلاحظ أن المستعمر مستعد التخلي عن احتلال الجنسية ، ولكن من الصعب تركه لهوية البلد المستعمر ، ويكون ذلك بواسطة فرض لغته و ثقافته عليها كما حدث للجزائر حيث أراد المستعمر الفرنسي فرض اللغة الفرنسية و الهُوية الفرنسية ، إلا أن قادة الثورة الأحرار رفضوا ذلك وسعوا إلى وحدة الأمة الجزائرية ، وعدم القبول بغير ذلك مفتخرين بعروبتهم و إسلامهم اللذان يمثلان هويتهم .

و ذكر :" و اذا كانت الهُوية و الوحدة لا تقبل التعدد اللغوي (الرسمي) كما هو موضح في فرنسا ، وإذا كان الإسلام في الجزائر بقيمه الثقافية و الحضارية يمثل (بشهادة الجميع و في كل جهات الوطن) جوهر وروح الثقافة الوطنية في عمومياتها الثابتة ، و من ثم الهُوية الوطنية في سماتها البارزة بدون منازع ... ، فهل يمكن لأحد أن يجد لغة أخرى جامعة لأفراد الشعب الجزائري ، أو ديننا آخر بديل عن الإسلام مقبولا لديه في هذا البلد، لأبعاد العربية عن الساحة الثقافية ، أو تهميشها عن الحياة الاجتماعية وعن الهُوية الوطنية على غرار ما وقع في الأندلس بعد سقوط غرناطة ..." .

وطرح أيضا أنه لا يمكن أن تتعدد اللغة في نفس المكان لدى نفس الشعب ، " و إن كان كذلك فملكة أي شعب لا تحل محلها ملكة أخرى إلا بعد موتها أو قبلها ، لأن اللغة هي الهُوية و اذا كانت الجنسية الورقية قد تتعدد فان الهُوية واحدة، قد تتطور في الزمن لكنه يستحيل أن تتعدد في المكان الواحد و لدى الشعب الواحد ".

كما تحدث الدكتور أحمد بن نعمان على مطالبة بعض الأحزاب بجعل اللهجات الدارجة بمثابة الفصحى ، مدعين أن اللغة العربية غير مفهومة ، برغم من تكلمهم و فهمهم للغة

الفرنسية الفصحى ، " المطالبة " بتدريج" أو "تلهيج" الفصحى و تفصيح اللهجات الدارجة و ذلك بالادعاء أن اللغة العربية الفصحى غير مفهمومة مع أنهم وفي نفس الوقت يخاطبون الشعب الجزائري بالفرنسية الفصحى

و كان الشعب يفهم الفرنسية أحسن من العربية ، أو على الأقل الدارجة ولتبرير هذا المسعى التعددي (اللهجوي واللغوي) الذي يصب في هدف واد (.....) تجدهم و لأول مرة يستشهدون بالقران الكريم مرددين قوله تعالى : (... ومن آياته خلق السماوات و الأرض و اختلاف ألسنتكم و ألوانكم ...) (الروم:22) ليستدلوا بها على ضرورة التعدد اللهجوي و اللغوي ، ومن ثم تعدد الهويات والقوميات بالضرورة ، لأنهم في مسألة الهُوية يطرحون البديل البربري بدل العروبة ، وفي اللغة يطرحون البديل الفرنسي بدل العربية ، و ذلك لأن الذي ينافس العربية اليوم في الجزائر حضاريا وإداريا وعلميا وإعلاميا هي الفرنسية ،و ليست أي لهجة بربرية كيفما تطورت ، والهدف من هدا اللف والدوران هو الوصول في النهاية إلى إيجاد هوية جزائرية (غير عربية) بلغة فرنسية (جزئيا أو كليا) على غار البلدان الإفريقية الفرانكفونية السالفة الذكر" .

إن الاستعمار كان على علم أن أقوى سلاح يقضي به على الهُوية الجزائرية العربية الإسلامية هو لغتها العربية بحيث يقوم بتهميشها و محوها .

كان موقف أحمد بن نعمان ليس ضد اللهجات العامية و البربرية ، طالما لم تؤثر على الفصحى وبقيت فقط مستعملة في الحياة اليومية ، " إن الحديث باللهجات البربرية في الحياة اليومية أمر طبيعي ، من عهد طارق بن زياد و ابن تومرت و يوسف ابن تأشفين إلى يومنا هذا ، وقد كان سيظل كذلك ، ليس داخل الوطن الجزائري فحسب ، بل حتى على صعيد الوطن العربي بما فيه اليمن و الحجاز ، حيث تتعايش الفصحى مع العاميات العربية بمختلف مصادرها و أصولها ، بشرط أن تظل الفصحى (كشأنها دائما) هي لغة الأفكار والعلوم والثقافة الراقية والحضارة و الفلسفة والسياسة و إدارة الأمصار ...، وتبقى العامية وسيلة التداول بين العوام في الحياة اليومية ، وجوانب الثقافة المادية ، والمسائل الفلكورية ، و حينئذ لا يبقى أي تعارض مفتعل بين الفصحى و أية عامية من العاميات المتداولة في الوطن الصغير و الكبير ".

و منه فلا مانع من اللهجات المحلية و البربرية والعامية في الاستعمال اليومي بين العوام خارج المجالات الثقافية و الإدارية و التعليمية ، واستمرارها بالفصحى وعدم المساس بها أو جهلها (الفصحى) ، لأنها تمثل الهُوية والوحدة الوطنية لجميع الأمة ، رغم تكلمهم في حياتهم اليومية بلهجات عامية .

و أكد بن نعمان أن الدين و اللغة هما مؤسسات هوية أي مجتمع " علما بأن الدين و اللغة أساسان جوهريان للهوية الوطنية الموحدة لأية أمة عموما ، والأمة الإسلامية على وجه الخصوص" .

" و إذا كان ما ورد في الجزائر من الخراج هو دخيل ويتعارض مع مبدأ الأصالة والهُوية الوطنية ... فلماذا يرفضون العربية لكونها دخيلة ، ولا يرفضون القران الذي حملها وحفضها ، ويحفضها إلى يوم يبعثون " ، إنما هذا فقط سعي من الاستعمار من أجل تجزئة وتقسيم الهُوية و الوحدة الوطنية للجزائر .

رغم قبول الأحزاب الإسلام و القرآن و اعتباره من مقومات الهُوية والوحدة الوطنية ، إلا أنها ترفض لغة القرآن لصالح فرنسا ، و استدل الكاتب في ذلك :" و في هذا السياق نذكر أننا قد لاحضنا في اليوم التالي لتصويت المجلس الشعبي الوطني على قانون اللغة العربية (المجمد رسميا و الملغى عمليا) صدور جريدة الوطن الفرنسية في الجزائر بتاريخ (30/12/1990)بعنوان بارز في الصفحة الأولى نصه "القانون الذي سيقسم الجزائر " وذلك بدعوى أن فرض اللغة الوطنية على كل الجزائريين سيقسم الوطن " ، حيث نص هذا البيان على أن تكون اللغة الفرنسية هي سيدة الإدارة تقريبا ، وعدم قبول أي لغة تتعايش معها إطلاقا .

إن كل هذا تمهيد من أجل محو و تهميش اللغة الأصلية التي هي أساس في هوية الأمة و وحدة شعبها، وأن أي تدخل لغوي يسبب تمزق الوحدة الوطنية .

" ...يكمن أن الهُوية الوطنية الجزائرية أو المغاربية أو العربية عموما في الاتجاه العمودي التاريخي في الزمان هي أمازيغية عربية إسلامية أو بابلية عربية إسلامية أو سريانية عربية إسلامية أو فرعونية عربية إسلامية أو فينيقية عربية إسلامية ،...و لكننا في الاتجاه الأفقي في المكان هي عربية إسلامية فقط ، وأي طرح غير هذا لن تكون نتيجته غير تمزق الوطن الواحد أو القطر الواحد إلى شتات وشراذم لا حصر لها من الهويات و القوميات ، وذلك ، اللغة الوطنية والرسمية في نفس المكان و الزمان ، هي عنوان السيادة و مرآة السياسة والهُوية الموحدة ، وهده الأخيرة لا تقبل التعدد (على الإطلاق) ، فهي مثل الطفل الذي يستحيل أن يكون مولودا لأمين اثنين في وقت واحد ".

المبحث الثالث : مجمل نظرة الكاتب لمكانة اللغة من الهُوية

1- تباينت وجهات نظر الدارسين بشأن المقوم الأساسي لهوية الأمة، وبلغ هذا التباين مبلغه بين المدافعين عن عنصر اللغة باعتباره المعبر الحقيقي عن كيان الأمة، وبين المدافعين عن عنصر العقيدة باعتباره الهدي الإنساني الكبير للمجتمع البشري الأمثل، وبين المدافعين عن العناصر الأخرى كالعنصر الاقتصادي وعنصر مشيئة العيشة المشتركة، فنجد أحمد بن نعمان وهو المنادي بضرورة توفر اللغة كعنصر هام في تكوين الهُوية، وعندما نقول اللغة نعني بذلك اللغة القومية المشتركة بين أبناء المجتمع الواحد، يرى أن اللغة والهُوية أمران متلازمان بحيث إن غابت اللغة غابت الهُوية، وإذا قويت اللغة قويت الهُوية، ومن ثم لا يمكن في نظره ذكر الهُوية دون اللغة، أو تشكيل الهُوية بمعزل عن اللغة، فالطرفان يتبادلان التأثير

2- اللغة عند أحمد بن نعمان هي المرتكز الوجودي الذي تقام عليه فكرة الأمة، وهي تعتبر الثغرة الرئيسية التي يمكن أن يصاب من خلالها جسد الأمة بسهام المتربصين بها، لذا فقد كان المستعمر يستخدم لغته لطمس هوية المستعمرين وإذابة لغتهم والقضاء عليها وعلى شخصيتهم، كونه يدرك انه لكي يتمكن من التوسع في أوساط المجتمع والبلاد، لابد من السيطرة على اللغة، من خلال إدخال لغته وتلقينها بالقوة للشعب وخاصة في قطاع التعليم، فرغم الاستقلال بقيت البلدان المستعمرة تابعة ثقافيا ولغويا له، الأمر نفسه هو ما قام به الاستعمار الفرنسي مع الجزائر، حيث سعى جاهدا بشتى الطرق لطمس هوية الشعب الجزائري من خلال تهميش اللغة القومية وهي العربية، والعمل على جعل لغته الفرنسية اللغة المعتمدة في جميع القطاعات وخاصة قطاع التعليم كما ذكرنا سابقا،كونه القاعدة الأهم في تكوين شخصية الفرد منذ الصغر، وهذا هو الحال مع معظم البلدان المستعمرة، فرغم استقلالها إلا أن هذا الاستقلال كان استقلال جنسية فقط، أي فيما يتعلق بالأوراق وليس ما هو متعلق بالشعور والعرق، ولم يكن تام بحيث أن هذه الدول لم تتمكن من الحصول على استقلالية هويتها، وهو الاستقلال الأصعب دوما، فهو يشتمل على الشخصية الثقافية للدولة، خاصة في مجال اللغة.

3- أكد أحمد بن نعمان في معظم مؤلفاته عموما وفي كتابيه المعتمدين في هذه الدراسة خصوصا على أهمية اللغة كونها عنصرا من النهضة ومظهرا من مظاهر النضج، والقدرة على تجسيد الهُوية الوطنية، وذكر في هذا الصدد أن العديد من البلدان أصبحت أجيالها عاجزة عن فهم لغتها القومية ولا تكاد تجيد القراءة والكتابة حيث اعتمدت اللغة الأجنبية كلغة رسمية لها في المقابل أصبحت اللغة الأصلية لغة ثانية قليلة التداول على الألسنة، فالأمة أساسها القومي اللغة ولا تتوحد الأمم إلا بعد توحد لغاتها، فالبلد الذي مجتمعه متفرقا في لغاته ومتعددا في ألسنته بين ما هو أصلي وما هو دخيل نجده مشتتا

غير موحد في هويته حتى وإن كان يجمعهم دين واحد ورقعة جغرافية واحدة، فالمتحدث باللغة الأجنبية لا شك في أن ثقافته بالأكيد تكون أجنبية، سواء في تفكيره أو في نمط معيشته، فنجده منحاز نحو البلد المتحدث بلغته ومتأثر بها وهو ما أكده الفيلسوف الألماني فيخته بقوله: " إن اللغة تؤثر في الشعب الذي يتحدث بها تاثيرا لا حد له، يمتد إلى تفكيره، وارادته،وعواطفه، وتصوراته، وإلى أعماق أعماقه، وإن جميع تصرفاته تصبح مشروطة بهذا التأثير ومتكيفة به"[56].

4- رغم أن اللغة الدخيلة تزعزع مكانة وقومية اللغة الأصلية إلا أن أحمد بن نعمان أكد وصرح على أن المجتمع المتقن للغته القومية ومتمسكا بها لا ينبغي له أن يتخوف من اللغات الأجنبية بأن تمحو وتهمش لغته الأصلية والقومية، فمتى ما كان المجتمع حريص بالحفاظ على لغته في جميع المجالات وساعيا إلى نشرها وتوسيعها في أوسع نطاق، كانت معرفة اللغة الأجنبية ليست خطرا على الشعور القومي، بل عكس ذلك تصبح بمثابة عامل قوة لصالح اللغة والثقافة القومية.

5- إن معرفة ثقافات الأمم الأخرى تساعد على تطوير وتحسين ثقافة الأمة الأصلية إلى ما هو أحسن، فمتى ما تطورت الثقافة قويت اللغة القومية، وهكذا يصبح التعامل مع اللغة القومية واللغة الأجنبية واضحا، بحيث تسير الحياة بهذه الطريقة نحو الأحسن ، وتصبح اللغة الدخيلة عنصرا مقويا لا مهدما ، فمتى ما كان الوعي القومي حيا لدى أفراد الأمة وقويا ، كان ذلك كفيلا لبقاء وحماية ثقافة الأمة ولغتها.

6- إن اللغة القومية الوطنية عند أحمد بن نعمان شأنها شأن العلم الوطني، والعملة والنشيد الوطني الذين يمثلون عناصر السيادة الوطنية، فمثلما لا توجد ذات علمين أو عملتين ، أو نشيدين وطنيين ، لا توجد أمة موحدة بلغتين معتمدتين رسميا ووطنيا ، ومثال ذلك فرنسا رغم أنها تحتوي على عدة لهجات مختلفة ومتداولة بين أفراد سكانها ، إلا أن لا اعتراف بأي لهجة أو بأي لغة في الإدارة وتعاملاتها الرسمية غير لغتها القومية والرسمية الوطنية، وهي اللغة الفرنسية، إذ لابد من الشعب المحتل ورغم احتلال أرضه من طرف غاصب أجنبي أن يبقى متمسكا ومتشددا بكيانه وبمقومات شخصيته القومية مبتعدا بكل الطرق عن شخصية وقومية الدولة التي استعمرته ، فمهما كان هذا الاحتلال مستوليا سياسيا واقتصاديا ، لا يمكن له أن يستولي على الشخصية والكيان القومي للفرد مادام هذا الفرد بقي محافظا على لغته.

7- إن فقدان الحياة بالنسبة للمستعمر لا يتم تحت أي تأثير خارجي إلا إذا تهمشت وفقدت لغته ، ويصبح من المتكلمين باللغة الدخيلة ، فبهذه الطريقة يفقد الشعب قوميته وهويته ،

[56]بن نعمان ، أحمد ، الهُوية الوطنية : الحقائق والمغالطات ، مرجع سبق ذكره ، ص35

وتذوب شخصيته ليصبح فردا من أمة أخرى لا تجمعه معها شيء سوى لغتها التي فرضتها عليه.

8- الاندماج الحقيقي بين شعبين اثنين لا يتم إلا بوجود لغة مشتركة بينهما ، وهي ما يطلق عليها اللغة الأم ، فهي تعد رابطا متينا بين الشعبين مهما كان بينهما من اختلافات دينية أو فكرية أو غيرها .

9- يرى أحمد بن نعمان أن الدول التي تحاول السيطرة على الشعوب قد تزول لسبب ما، وهذا الأمر أقل خطورة من السيطرة اللغوية ، فالدول التي تفرض لغتها على الشعوب لمدة طويلة من الصعب جدا إزالة آثارها السلبية المتمثلة في إدخال اللغة الأجنبية، فلا تزول ما لم تتوفر الإرادة القوية ونضج الحس القومي فليس من السهل أن تتمكن دولة تحكم شعبا من الشعوب السيطرة أو القضاء على اللغة القومية لهذا الشعب إلا إذا توفرت إرادته واقتناعه التام ، وإذا ما تم هذا الاقتناع وهذه الإرادة فإن اللغتين تبقى في صراع وتنازع بين لغة الحاكم ولغة المحكوم ، وينتج عن هذا الصراع غلبة إحدى اللغتين ، أو تكوين لغة تمزج بينهما [57].

10- اللغة هي المعيار لبيان حدود أية أمة وهوية أي شعب في العالم...فلأن خاصية كل لغة تترك أثرها على نفسية الشعوب وطريقة تفكيرها، وهي الذكريات المشتركة للأمة ، وإذا اندثرت ضاعت معها معالم القومية .

فاللغة – إذن – من أهم المقومات والأسس الضرورية في تكوين الأمم القوية الموحدة وضمان بقائها ، مثال ذلك الأمة الألمانية التي ظلت موحدة رغم تمزيقها جغرافيا إلى دولتين بعد الحرب العالمية الثانية ، وكذلك الأمة الكورية والفيتنامية. و إن المحك الحقيقي لفاعلية أي عنصر من عناصر الانتماء القومي لدى المجتمع يتمثل في مدى قدرته على الربط بين أفراد المجتمع، ومدى مقاومته للتحلل أو الذوبان في مجتمع آخر أقوى منه ثقافة أو عددا... خاصة وأن المجتمعات القومية في الوقت الحاضر تتعرض لتيارات متعددة لا تنفك تستهدف إذابتها بشتى الطرق ، ولعل الوطن العربي والإسلامي أشد تعرضا في وقتنا الحاضر لهذه الهجمات التذويبية ماديا ، وثقافيا ، مما يلزمه بالتمسك الشديد ، بكل عوامل الربط بين أفراده وتأتي اللغة العربية في مقدمة هذه العوامل بدون منازع ، ويكفي أن نعلم مدى قيمة اللغة المشتركة التي تربط بين أفراد المجتمع الواحد ، أن ننظر إلى المجتمعات القومية المكونة حديثا والتي لا تتوافر لديها لغة مشتركة توحد أفكار ومشاعر وثقافة أفرادها ، إنها تلجأ إلى تبني لغة حية م الخارج ، للعمل على الربط بين أفرادها على المستوى الرسمي على الأقل ، والأمثلة على ذلك كثيرة بين عدد من

[57] بن نعمان ، أحمد ، التعريب بين المبدأ والتطبيق ، مرجع سبق ذكره ، ص 260

القوميات المستجدة في إفريقيا ، حيث تلجأ تلك الدول إلى استعمال الفرنسية أو الانجليزية مؤقتا حتى تمسك بيد لغاتها الوطنية والقومية ، لتحل محل اللغة الأجنبية المتبناة (...)[58] .

وعن اللغة المشتركة يضيف مراد كامل قوله : " أما اللغة المشتركة فإن الظروف الخارجية هي التي تحددها . ثم هي ترجع وجودها إلى انتشار قوة سياسية منظمة ، أو إلى تأثر طبقة اجتماعية غالبة ، أو إلى تفوق أحد الآداب . واللغة المشتركة مدينة في بقائها إلى أسباب سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية . فالمدينة وحدها هي التي تستطيع أن تنشر اللغة بين مجموعات كبيرة من الناس – وهذا ما حدث للغة العربية منذ ظهور الإسلام ، واللغة المشتركة لا تتفكك ولا تتفتت إلا إذا تراخت العرى الاجتماعية التي كانت تمسكها [59]."

11- إن الضعف اللغوي العام يؤدي بالتدريج إلى ذوبان الشخصية ، وفقدان الهُوية ، وانقطاع الصلة بالرابطة التي توحد الأمة ، وتشد كيانها ، وتحقق لها استقلالها ، وتبوئ لها المكانة المحترمة بين الأمم الحية . إن الحفاظ على اللغة حفاظ على الأصالة والانتماء القومي وتضييعها تضييع لهذه الأصالة والانتماء.

هكذا تنظر الأمم الحية إلى لغاتها : تعبيرا عن الكيان ، وشعارا للذاتية ، ورابطة القومية ، ورمزا للكرامة الوطنية ، وحاميا للوحدة والاستقلال.

12- وعن حرص الأمم على إصلاح لغاتها والاحتفاظ بها قوية رشيدة متطورة مزدهرة يقول الأستاذ أسعد حكيم : " يولد الغربي في الممالك الراقية فتطرق مسامعه مع النور والهواء ألفاظ فصحى ولهجة صحيحة تألف سماعها أذناه ، ويتهيأ للنطق بها لسانه ، ثم يدرج ويهتم شأن جميع الأطفال بمعرفة كل ما يقع عليه بصره من الأشياء وما يحدث حوله من حوادث الطبيعة فيسمى له أبواه كل شيء باسمه الحقيقي القصيح ويشرحان له كل حادث طبقا لقوانينه الحكيمة بصورة تتناسب مع فهمه ومداركه ، فيحفظ ذلك كله ويشب على معرفته ، ثم يترعرع ويدخل المدرسة فيشاهد فيها معلما يتكلم باللغة التي ألف سماعها والتكلم بها في حضن أبويه ويقرأ في كتاب لا تختلف كلماته عن الألفاظ التي ينطق بها ، فينصرف ذهنه للمعاني بدل الاشتغال بالألفاظ ، ثم يدرس العلوم والفنون في كتب لغتها واحدة ، وإذا تعذر عليه فهم كلمة علمية يجد في جانبه كتابا يفسرها له بمعانيها الحقيقية والاصطلاحية ، حتى إذا أتم هذا الطالب علمه وصار أستاذا يؤلف الكتب ويلقي الدروس لا يحتاج في وضعها لإتعاب فكر أو إجهاد قريحة من حيث الألفاظ فيشتغل بالجوهر دون العرض لأنه مهيء متوفر لديه .

[2]بن نعمان ، أحمد ، مستقبل اللغة العربية بين محاربة الأعداء وإرادة السماء ، دار النعمان للطباعة والنشر ، برج الكيفان ، الجزائر ، (د ط) ، 2014 ، ص 221

[3]مجلة حوار ، بيروت ، العدد 7 تشرين الثاني 1963

أما الطفل العربي فإنه من حين دخوله هذا العام تنهال على مسامعه أسماء مشوهة ، وكلمات محرفة ، وتعابير فاسدة وألفاظ دخيلة ، تنطبع في صفائح دماغه اللين رسومات فيألفها سمعه ، ويرددها لسانه ، ثم ينمو هذا الطفل والطفل فضولي بطبعه فسيتوضح عن كل ما تتأثر به حواسه الخمس فيجاب إلى ذلك بأسماء عامية أو دخيلة أو محرفة ، وأحيانا عند جهل اسم الشيء بأسماء مركبة أو جمل مبهمة ، وتؤول له الحادث الطبيعية بخرافات متنوعة ما أنزل الله له بها من سلطان تتكيف بحسبها مداركه وملكاته العقلية ثم إذا قيض الله أن ينشأ ويدخل المدرسة ، والمدرسة سجنه الممقوت ، يلقى فيها معلما يتكلم بغير اللغة التي يقرأها في كتابه ويقرأ في كتاب كلماته غير التي ألف سماعها والتفوه بها في بيت أمه وأبيه ، ثم يصادف علوما لم تتهيأ قواه العقلية لفهمه "[60]

13- إذن خلاصة القول هو أن أحمد بن نعمان كل ما أراد قوله هو أن اللغة عامل وعنصر جوهري في الوجود القومي ، فغالبا ما تصبح الحدود اللغوية على بقعة جغرافية معينة هي الحدود السياسية للأمة ، وكثيرا ما تنشب الحروب بين مجموعات بشرية أو أمم بسبب محاولات تبذلها أمة معينة لضم مجموعة لغوية تشترك مع الأمة بروابط لغوية . وغالبا ما يتعاطف الأفراد الذين تضمهم أمة لا ينتسبون إليها لغويا مع أمة أخرى تربطهم بها روابط لغوية . وقد تسعى جماعات متباينة لغويا ، في دولة قومية واحدة إلى الانفصال بقصد بناء دولة مستقلة أو إقامة حكم ذاتي في ظل الدولة الواحدة . كما تسعى الجماعات اللغوية المتشابهة لغويا أو التي تحكم هذه الجماعات ، واختلاف عقائدها السياسية وتنظيماتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية .

14- إن البعد القومي عند أحمد بن نعمان يشتمل على أن اللغة تحمل أحاسيس وعواطف مشتركة بين أفراد الأمة يدركها المرء من خلال مشاركته في استعمال اللغة ، وبعبارة أخرى أن هذا البعد يمثل الناحية الوجدانية والنفسية التي تعبر عنها روح الأمة ، فهي معان ليست موضوعية بل ذاتية يشعر المنتمي إلى الأمة التي تستعمل تلك اللغة ولا يدركها الأجنبي بسهولة ، لأن هذه الروح أو المعاني قد نمت في داخل الفرد منذ الصغر ، وتشربت بها نفسه من خلال التربية البيتية والمشاركة الاجتماعية . فاللغة تدرك أهميتها من خلال ارتباطها الوثيق بالأمة ، فغالبا ما تقترن اللغة باسم الأمة وهويتها القومية ، فتصبح أساسا مميزا لها عن بقية الأمم في حالة التعرف عليها أو على الأفراد المنتمين لها . فنقول على سبيل المثال : للعرب لغتهم وهي العربية ، وللفرنسيين لغتهم وهي الفرنسية ، وللألمان لغتهم وهي الألمانية ... ويشذ عن هذه القاعدة جميع الأمم التي فقدت لغاتها الأصلية واكتسبت لغات قومية أخرى سواء عن طريق الهيمنة الاستعمارية كما ذكرنا سابقا ، أو عن طريق عدم قدرة لغاتها على التطور ، فالاستعمار مدرك ما للغة من أهمية

[60] مجلة العرفان صيدا ، المجلد العاشر ، 1924

ودور في وحدة الوجود القومي لأي شعب من الشعوب ، فعمل في إفريقيا خاصة على استبدال اللغات القومية باللغة الأوروبية ، على أساس أن الشعب الذي يفقد لغته الأصلية ليكتسب لغة الغير إنما يكتسب في الوقت نفسه ثقافة وأسلوب حياة المستعمر الناطق بتلك اللغة ، إذ ينحصر اهتمامه باكتساب المعرفة من المنشورات والصحف والكتب التي ينشرها المستعمر ، وأخيرا يجد الشعب نفسه أسير حضارة جديدة مفروضة عليه يتفاعل معها ويتعاطف مع المستعمر في قضاياه ومشكلاته ، وهو بهذا أصبح بدون هوية ولا قومية حيث نجح المستعمر في القضاء عليها من خلال اللغة ، ولن يتخلص من هذه التبعية إلا في حالة التحرر الوطني وبناء دولة قومية خاصة به.

15- اللغة والهُوية أو القومية عند أحمد بن نعمان هما بمثابة جسد وروح ، اللغة هي الروح والهُوية هي الجسد ، بحيث إن غابت الروح لا معنى لوجود الجسد ، وإن غاب الجسد غابت معه الروح ، فهما عنصران مرتبطان ببعضهما البعض لا سبيل للتفرقة بينهما ، فالأمة الناضجة والواعية والمترابطة فيما بينها تكون دائما ذات حس قومي قوي بسبب تمسكها الشديد بلغتها ، وحرصها الدائم في الحفاظ عليها من الاندثار والتشتت بسبب الانتشار الواسع للغات الأجنبية ، فمتى ما كان الشعب متمسكا في لغته كان القضاء على قوميته صعبا .

خاتمة

خاتمة

من خلال التطرق لهذا الموضوع " مكانة اللغة من الهُوية في كتابات أحمد بن نعمان من خلال كتابيه : التعريب بين المبدأ والتطبيق ، والهُوية الوطنية الحقائق والمغالطات " وهو موضوع بحثنا هذا الذي نتجت عنه إشكاليات أهمها " **هل التنوع اللغوي والثقافي لدى الشعوب يؤدي بالفعل إلى سقوط هويتهم في نظر الكاتب أحمد بن نعمان** ؟ التي سعينا للإجابة عنها من خلال التطرق لعناصر البحث المتمثلة أهمها في التعريف بمصطلحات اللغة والهُوية ، والتعرف على أحمد بن نعمان وعلى ما طرحه حول اللغة والهُوية ، ومن ثم موقفه تجاه مكانة اللغة من الهُوية في كتابيه المعتمدين في الدراسة ، تحصلنا على النتائج التالية :

- إن الوظيفة الأساسية للغة لا يمكننا حصرها في كونها وسيلة للتعبير فقط ، فهي تجعل من المعارف والأفكار البشرية قيما اجتماعية ، بسبب الاستخدام المجتمعي للغة ، للدلالة على أفكاره ومعارفه ، والحفاظ على التراث الثقافي والتقاليد الاجتماعية جيلا بعد جيل .

- بفضل اللغة يتأكد وجود الفرد بانتمائه القومي لمجموعته البشرية ، وبفضلها أيضا تنمو علاقات أعضاء الأمة وتتطور حياتهم وترتقي حضارتهم إذا تمسك الفرد بلغته القومية وتسير دفة الأمور في المجتمع الإنساني عامة .

- يعتبر مفهوم الهُوية مفهوما مركزيا حاضرا بقوة في تحديد ملامح الخصوصية الحضارية والثقافية ، وأيضا في تحديد صيغ وتجليات الوعي وسلم القيم .

- تحقيق الوحدة الدينية ، والثقافية ، والسياسية لأي أمة من الأمم يتوجب توفر الوحدة اللغوية (القومية) بين أفراد أمتها .

- أكد أحمد بن نعمان على عدم إمكانية الفصل بين اللغة والهُوية ، كونها تحمل هموم متكلميها وتنظم سلوكهم وتفاعلهم ، وتوحد انتمائهم القومي .

- يرى الكاتب (أحمد بن نعمان) في معظم مؤلفاته بالعموم ، وفي كتابيه (التعريب بين المبدأ والتطبيق ، الهُوية الوطنية) بالخصوص على أن اللغة هي من أهم محددات الهُوية الوطنية ، وإن أي تذبذب أو تعدد في اللغة الرسمية (القومية) يؤدي إلى فقدان الهُوية والوحدة الوطنية .

- الهُوية والوحدة القومية لا تقبلان التعدد اللغوي (الرسمي) فلا يمكن أن تتعدد لغة في نفس المكان والزمان لدى نفس الأمة ، لأن اللغة تمثل الهُوية ، فقد تتطور مع الزمن لكنه يستحيل أن تتعدد في المكان الواحد ، ولدى شعب واحد ، وأمة واحدة .

- لا يمكن لأمة أن تتمتع بشخصيتها وتكون لها هوية تميزها إذ لم يفرض أفرادها لغتهم (القومية) ، ويتحرروا من اللغة الدخيلة (الأجنبية) كي تكون لهم هوية ينفردون بها عن غيرهم من الأمم .

-إن التنوع اللغوي والثقافي لدى الشعوب ليس بالضرورة أن يكون عامل لهدم وسقوط الهُوية ، فإذا تمسك الشعب بلغته القومية تصبح اللغات الأخرى عامل قوة لا عامل هدم

- إن الحفاظ على اللغة من وجهة نظر أحمد بن نعمان هو في الحقيقة الحفاظ على هوية الأمة ووحدتها ، فلن تقوم لأمة ما من الأمم من غير لغة تجمع أواصرها ، وإن أي تعدد للهويات داخل الوطن الواحد يعد من أهم الأسباب التي تشتت الوحدة الوطنية .

بالرغم مما بذلناه من جهود في هذا العمل لا يمكننا القول أننا استكملنا موضوع الدراسة ، إذ يبقى من بين المواضيع الحساسة التي تتطلب وتحتاج إلى المزيد من الدراسات ، لأنه يمثل موضوع قضية مصيرية للشعوب ، وخاصة في وقتنا هذا الذي تسعى فيه العولمة إلى نشر اللغات الأوروبية على أوسع نطاق ممكن .

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع :

القرآن الكريم برواية ورش

أولا : المصادر

1 -بن نعمان ، أحمد ، التعريب بين المبدأ والتطبيق ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، (د ط)، 1981

2- بن نعمان ،أحمد ، الهُوية الوطنية ، الحقائق والمغالطات ، دار الأمة ، (د ط)، 1995

3 - بن نعمان ، أحمد ، مستقبل اللغة العربية بين محاربة الأعداء وإرادة السماء ، دار النعمان للطباعة والنشر ، برج الكيفان ، الجزائر ، (د ط) ، 2014

ثانيا : المراجع

أ – الكتب :

1 - إبراهيم، مصطفى إبراهيم ، فلسفة اللغة نشأنها وتطورها وأبرز أعلامها، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر ،209م

2 - جميل صليبا ، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية ، دار الكتاب اللبناني ، دار الكتاب المصري ، ج2، بيروت ، لبنان ، (د ط)، 1979

3 - الحصري ، ساطع ، ما هي القومية ، دار العلم للملايين ، بيروت ، (د ط) ، (د ت)

4 - حاتم، عماد، في فقه اللغة وتاريخ الكتاب، طرابلس ، ليبيا، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، (د ط) ،1982

5 - الخفاجي، ابن سنان، سر الفصاحة، القاهرة، 1935، ج1

6 - الخولي، محمد علي، أساليب تدريس اللغة، ط3 ،الرياض، 1989

7 - راوي، صلاح،فقه اللغة وخصائص اللغة وطرق نموها، ط1 ،القاهرة: كلية دار العلوم، 1993م

8- الرافعي ، مصطفى ، وحي القلم ، ج 3 ، دار المعارف ، القاهرة، (د ط)،(د ت)

9 - عزيز العظمة ، سؤال ما بعد الحداثة مفاهيم عالمية ، الهُوية من أجل حوار بين الثقافات ، المركز الثقافي العربي ، ط1 ، 2005

10 - عبد المجيد، عبد العزيز، اللغة العربية-أصولها النفسية وطرق تدريسها، دار المعارف، مصر، (د ط) ،1952م،

11 - عبد السلام، أحمد شيخ، اللغويات العامة مدخل إسلامي وموضوعات مختارة، ط2 ،كوالالمبور، الجامعة الإسلامية العالمية. بماليزيا، دار التجديد للطباعة والنشر والترجمة،2006

12 - سالم ، فاطمة الزهراء ، نحو هوية ثقافية عربية إسلامية التداعيات والتحولات والتصورات ، دار العالم العربي ، ط1 ، القاهرة ، 2008

13- فريحة، أنيس، نظريات في اللغة، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط1981،2

14 - كمال الحاج ، يوسف ، فلسفة اللغة ، بيروت ، (د ط) ، 1956

15 - الكفوي،أبو البقاء بن موسى الحسني،الكليات، تحقيق عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، لبنان، (د ط) ، 1989

16 - محمود السيد ، اللغة العربية (واقعا وارتقاء) ، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ، (دط) ، (دت)

17 - محمود أمين عالم، دفاع عن الخصوصية اللغوية، عن كتاب: لغتنا العربية في معركة الحياة، العدد (السابع والثامن عشر)، سلسلة قضايا فكرية للنشر، القاهرة(دط)،1997م

18- مسلم ، محمد ، الهُوية في مواجهة الاندماج عند الجيل المغاربي الثاني بفرنسا ، ط1 ، دار قرطبة للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2009

19 - الهر ماسي ، محمد صالح ، مقاربة في إشكالية الهُوية المغرب العربي المعاصر ، دار الفكر ، دمشق ، ط2 ، 2002

20 - هارلمبس وهولبورن ، سوشيولوجيا الثقافة والهُوية ، ترجمة حاتم حميد محسن ، دار كيوث ، دمشق ، سوريا ، ط1 ، 2010

ب : المعاجم

1 - ابن منظور، لسان العرب، مادة (ل غ ا) ، بيروت ، ط1، ج1 ، 2003

2 - جميل صليبا ، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية ، دار الكتاب اللبناني ، دار الكتاب المصري ، ج2، بيروت ، لبنان ، (د ط)، 1979

3 - الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، الهيئة المصرية العامة للكتاب،(دط)، 1979

4 - مجمع اللغة العربية ،المعجم الوسيط ، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة ، مصر ،ط5 ، ج1 ، 2011

ج : البحوث والمجلات

- البحوث:

1 - حلواجي ، علي ، محاضرات اللغة والمجتمع ، قسم اللغة والأدب العربي ، جامعة الشهيد حمه لخضر ، الجزائر

2 - حاتم ، محمد عبد الخالق سعد ، العلاقة بين استخدام المراهقين من 14-17 الانترنت وهويتهم الثقافية ، دراسة ميدانية ، دراسة للحصول على درجة ماجستار ، قسم الإعلام وثقافة الطفل ، جامعة عين شمس ، القاهرة ،(د ط) 2008

3 - زلاقي ، عبلة ،التفاعل بين اللغة والهُوية، جامعة مولود معمري تيزي وزو- الجزائر،نشر في 2018/10/01

4 - كربية، كريمة ، اللغة والهُوية ، قسم اللغة العربية ،كلية التربية بالدلم ، جامعة سلمان بن عبد العزيز،نشر في 1435/2/14ه

5 - مجموعة باحثين ، العولمة والهُوية الثقافية ، إشراف جابر عصفور ، سلسلة أبحاث المؤتمرات 7 ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، مصر ، (د ت)

- المجلات :

1 - حنفي ، حسن ، الهُوية والاغتراب في الوعي العربي، مجلة تبين، العدد01،قطر، صيف2012م

2 - مجلة حوار ، بيروت ، العدد 7 تشرين الثاني 1963

3 - مجلة العرفان صيدا ، المجلد العاشر ، 1924

4 - محمود السيد:اللغة و الهُوية، مجلة مجمع اللغة العربية، المجلد (85)، ج03، دمشق، (دت)

5 - سعيد ، أرلق ، مدارات المنفتح والمنغلق في التشكلات الدلالية التاريخية لمفهوم الهُوية ، مجلة عالة الفكر ، العدد 4، ج 36 ، أفريل – جوان

د : المواقع الالكترونية

1 - حسن حنفي: الهُوية والثقافة في الوطن، http://www.arabrenewal.info.

2 - من هو الدكتور أحمد بن نعمان ، 2023-03-15- 14:20، Ahmed BennamaneYoutube:

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات :

المحتوى	الصفحة
شكر وعرفان	92
الإهداء	92
الإهداء	92
مقدمة	أ – ج
الفصل الأول : تعريفات اللغة والهُوية والكاتب	
المبحث الأول : تعريف اللغة لغة واصطلاحا ، ووظائفها	1 –8
أولا : تعريف اللغة لغة	1 -3
ثانيا : تعريف اللغة اصطلاحا	3 -6
ثالثا : وظائف اللغة	7 - 8
المبحث الثاني : تعريف الهُوية لغة واصطلاحا	9 -14
أولا : تعريف الهُوية لغة	9 -11
ثانيا: تعريف الهُوية اصطلاحا	11 -14
المبحث الثالث : التعريف بالكاتب " أحمد بن نعمان "	15 -18
أولا : نشأته وحياته	15
ثانيا : أعماله ومؤلفاته	16 - 17
ثالثا : ما قيل عن أحمد بن نعمان	18
المبحث الرابع : علاقة اللغة بالهُوية عند غير الكاتب	19 -24
الفصل الثاني : إشكالية اللغة والهُوية عند أحمد بن نعمان	
المبحث الأول : التعريف بالكتابين	26 -35
أولا : كتاب التعريب بين المبدأ والتطبيق	26 - 30
ثانيا : كتاب الهُوية الوطنية حقائق ومغالطات	31- 35
المبحث الثاني : ما طرحه الكاتب عن اللغة والهُوية	36 -74
أولا : في كتاب التعريب بين المبدأ والتطبيق	36 -63
ثانيا : في كتاب الهُوية الوطنية حقائق ومغالطات	63 - 74
المبحث الثالث : مجمل نظرة الكاتب لمكانة اللغة من الهُوية	75 - 82
خاتمة	84 – 85
قائمة المصادر والمراجع	87- 91
الفهرس	93 -94